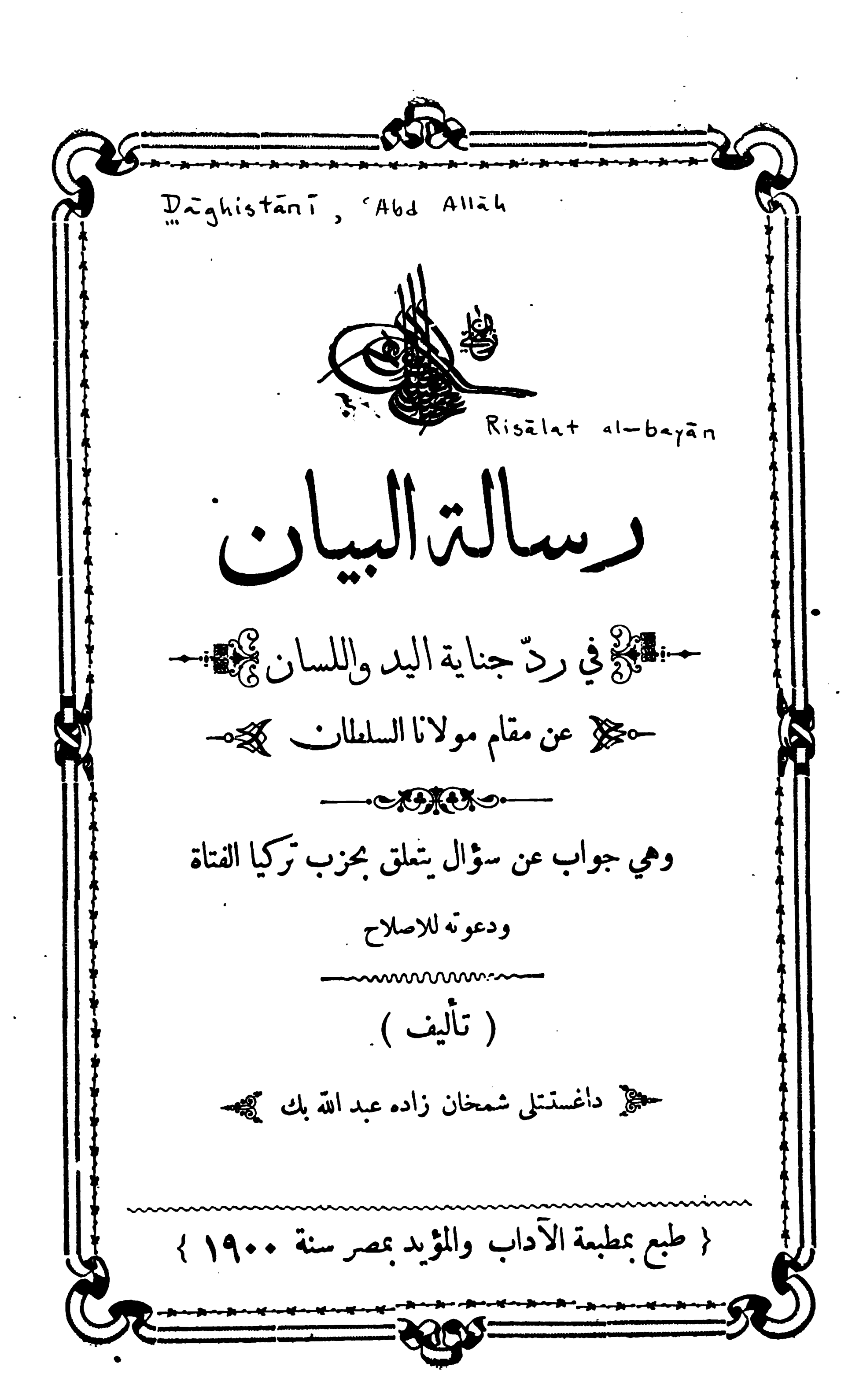


Daghistani, ʿAbd Allah

Risalat al-bayan

# رسالة البيان

في ردّ جناية اليد واللسان

عن مقام مولانا السلطان

وهي جواب عن سؤال يتعلق بحزب تركيا الفتاة

ودعوته للاصلاح

( تأليف )

داغستنلى شمخان زاده عبد الله بك

{ طبع بمطبعة الآداب والمؤيد بمصر سنة ١٩٠٠ }



﴿ اللهم ﴾ انا نسألك أن توفقنا لطاعتك . وتصلح أحوالنا بمعونتك ولا تجعل حظنا من معرفة الحق معرفته . دون كشف القناع عنه . ولا نصيبنا من الانصاف الاتصاف به دون الحث عليه ولا تعجل المكروه الينا بحصائد ألسنتنا فاننا لا نعلم طريق السلامة من الهلكة . ولا سبيل المنفعة من المضرة . حتي تحاسبنا بالتكليف والامتحان وأنت تعلم ذلك فينا تباركت ربنا وتعاليت

وصل اللهم وسلم على سيدنا ومولانا محمد الذي أظهرت دينه على الدين كله وآله وصحبه الذين قاموا بتعظيمه . وحفظ مناقبه . وحاطوا أشياعه . واحتجوا لاوليائه . وأعانوا على سنته . ولازموا طاعته . واتبعوا شريعته

﴿ وبعد ﴾ فقد وصلني كتابك الذى تتذمر فيه غضبا من الألم الذى استولى عليك من أفعال الزعانف الذين سموا أنفسهم ( بتركيا الفتاه ) وخرجوا على الدولة العلية العثمانية صانها الله . جاحدين لاحسانها . متمادين في الطغيان عليها . حاكين لنقمها . ساكتين عن نعمها . ملزمين الاكابر فيها ذنب الاصاغر منها . حاكمين على المجتهدين بتفريط المقصرين . وكل هذا من غير دليل ولا حجة الا ما يدعونه من الدعاوي التي جميعها ملقنة اليهم من أعداء الدولة والملة . ولشدة تأثير الصورة التى غدت فيها دولة آل عثمان على قلبك وهول الموضع الذي صارت اليه من الحياة السياسية غلب على ظنك امتناع رجوع هيئة الملك الي ما كانت عليه للحال الذى يشعر بعسر اجتماع الكلمة بعد

هذا

هذا التفرّق الداخلي وأدّاك حسن ظنك أن تسألني عن رأيي فى هذا وذاك

وهذه مسئلة ذهب التفاضل فى علمها لانها تبدت للعيون ظاهرة ظهور الشمس وعرف العامة كما عرف الخاصة أن هذا الهذيان لم يشتهر أمره الا على يد جماعة من البسطاء الذين سخرتهم الاعداء لنقله واشاعته وهو لغو ساقط ولكن الصمت عنهم ممن جرّب الامور وشاكل الرجال ونازع الخصوم استهتاراً بهم لا عجزاً .جعلهم يظنون في أنفسهم أنهم عرفوا ما يجب على العقلاء معرفته والاقرار به وأنهم أهلٌ لدعوة الخلق للحق وارشادهم للهدي وأمرهم بالرشد والتقوي

ومن جهلت نفسه قدره * رأى غيره منه مالا يري

والسبب الذي أدّي هؤلاء الزعانف لذلك لم يفت علماء السياسة الكلام عليه لانه يوجد فى كل جيل ومن خصائص كل سلطان ومستلزمات كل دولة وهو لايحتاج الي تعريف لان حوادثه المشؤمة التى تحل على أمور الدين والدنيا فى البقعة التى يظهر بجرثومته الخبيثة فيها كافية للدلالة عليه

وهذه الجمعية هي بعينها التى قامت عندكم في مصر فى سنة ٧٩ افرنكيه مسخرة لاختلال الحكومة المصرية وايقاع النفرة بين التابع والمتبوع ودعت نفسها ( مصر الفتاه ) وكتبت لائحة اصلاح ظهرت بركتها باحتلال الانكليز مصر بعد سنها بسنتين .وهي التي ظهرت فى بلاد العجم ودعت نفسها (ايران الفتاه ) وعلى أثر ظهورها قتل الشاه .وهي التي يكاد المتوسع في بيان أمرها أن يقول انها من بقية أولئك الذين قاموا وحاسبوا سيدنا عثمان بن عفان على أعمال عماله الامويين بالامصار وقتلوه فى داره ظلماً وكان من نتيجة ذلك ما كان من شقاق الامة وافتراقها مئات من المذاهب * وهى السلاح

الوحيد الاخير الذي يستعمله العدو الألد ليجهز على بقية الدولة والملة فان نصرك الله سبحانه وتعالى عليه وفللته ذهب كيده أدراج الرياح والاّ فانه القاصم لظهر الدول المبيد لملكها والعياذ بالله

واني مبتدئك بما قاله علماء السياسة في ذلك ليكون مقدمة لما يأتي من الكلام وتوطئة له ( اعلم ) ان من المتفق عليه ان كل سلطان في دولته لا ينفك ابداً أيام سلطانه من الناقم . والساخط . والزاري . والمتأوّل والمعجب برأيه . والمحروم . واللئيم ولهذا سمي الاولون الحكومة ( بقوة تحصل من اجتماع طائفة من الامة لامضاء مقتضيات الطبيعة على وجه يقرب من رضاء الكافة لاستحالة الوصول لارضاء الجميع ) فلا يجوز لاحد يعلم هذا أو يسمع به ويعجب اذا رأى من عرض الناس من يرتجل الكلام في الدولة التركية ارتجال المستبد ويتفرد به تفرد المعجب ويتعسف لذمها المعاني ويبتكر في هجائها الالفاظ حتي يصل بقول الزور والبهتان للطعن فى حقها ويخاشن لسانه مقام الخلافة ويمتد بالسوء في جانب جاه أمير المؤمنين وسلطانه الاعز لان هذا الحال من محن كل دولة وينبغي أن يكون فى هذه الدولة أشد لانها شجى في حلق الكثير وطبيعة خليفتها فوق طبيعة السلاطين والملوك لان الناس تتعرف به الدين والدنيا وينتفى بوجوده التباعد في النسب والتباين فى السبب وهذا داء فى صدور الاعداء لا شفاء له أبداً ولا يستطيعون غض أبصارهم عليه

وخصال سلاطين الاتراك والاتراك أنفسهم وخلالهم وتاريخ حياتهم وحالهم وحال دول النصاري وفعالهم يقتضي أن تكون هذه البلايا محيطة بجماعة المسلمين وهذه الفتن منتشرة فيما بينهم

لان

لان الترك وهي الامة التى منبت جرثومتها أقصى جبال المغول ومنتهاه أوروبا وصفها حكماء العرب كحميد بن ثور . وثمامة بن أشرس . وغيرهما بانهم شاركوا العرب فى الخصال الكريمة والانساب الشريفة وهم أصحاب عُمُد وسكان فياف وأرباب مواش فهم أعراب العجم لم تشغلهم الصناعات والتجارات عن الغزو والغارة والركوب والصيد ومقارعة الابطال وتدويخ البلاد لذتهم فى الحرب وهي فخرهم وحديثهم وسميرهم وهم أهل الجد والعمل (قال بعضهم لو حصرت مدة التركي وحسبت مدة عمره لوجدت جلوسه على الارض نادراً) وليس بعد عاد وثمود والعمالقة الذين وصفوا بالشدة والعظمة مثلهم كأنما خلقوا لقلب الدول وتأييد سلطانهم

ولما سطع نور الاسلام عليهم تلقوه بأحلام كاملة وعقول راجحة وتهذبوا بآدابه فكملت أخلاقهم وشمائلهم وعقولهم وأحلامهم وآدابهم وفطنهم وصلح حالهم وفطنوا الي وجوب نصرته وتمزيق ملك عدوه وجذ أصل معانده وأن لا يتركوا مُلكا تناله الحوافر والاقدام الا أزالوا صاحبه عنه وتحولت حالتهم فبعد ان كانوا فرقا مقاتلة بعضهم لبعض عدو مبين أزاح الله عنهم علة البغضاء وألف بين قلوبهم فظهرت خصال الشرف الكامنة ووافت معاني الكرم الباطنة وبدا ما تضمنته الاعراق الكريمة من العوائد الحسنة واجتمعت الكلمة وتألفوا أمة عظيمة اندفعت على الامم التى حولها آخذين في تشييد الدين الذي دانوا به والذب عنه واعلاء كلمته ونصرة نبيه حتى ظهر مجدهم الراسخ وبان حسبهم الثاقب وأصبح ديدنهم الرياسة والملك يتوارثون سلطانهما سلفا عن خلف وخلفاً عن سلف وآخراً عن أول وأولاً عن آخر بما لا يستطيع أن يجحده جاحد ولا ينكره معاند

القوم ظل الله فيهم دينه * وهمو على جبل الملوك الراسى
فى كل جوهرة فرند مشرق * وهم الفرند لهؤلاء الناس

وهذا الفضل جعل هذه الامة فوق الامم لانه ان كانت الانصار نصروا النبي صلى الله عليه وسلم في أول الزمان فالترك نصروا دينه فى آخره ولم ير الناس كعجيب شجاعتهم ولا كغريب نجدتهم لاننا لم نسمع بشجاع أبداً الاّ وله مرة جولة ومرة فرّة ولا يستطيع زنديق أو منافق أن يحدث ان تركيا فرّ من حرب أو تهيب من ضرب وقد تقدمتهم البشارات على لسان سيد البشر صلى الله عليه وسلم

« لتفتحن القسطنطينية فنعم الامير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش »

يعرف ذلك الشامي والحجازى والبغدادى والعراقي واليهودى والنصرانى بل لا يأثم من يقول ان خصال الشجاعة كلها اجتمعت فيهم فسواء عندهم أن يقاتلوا بالليل أو يقاتلوا بالنهار أو يحاربوا على الماء أو يحاربوا على الارض فهم فى المحلة والقرية والمضايق والشدائد والميادين والمفاوز واحد وهم أهل الصبر على الشدة واحتمال المكروه في سبيل الدين

فالذي ينسب الصناعات للصين والحكمة لليونانيين والشعر والادب للعرب لابد أن ينسب معرفة الحروب للاتراك فان الله تعالي لم يخلق أمة تلقاها بأنفس مجتمعة وقوة وافرة وأذهان صافية مثلهم وأراك لاتنكر ان كنت منصفا ان بعض هذه العلل تصير أصغر النفوس أكبر همة وأرفع درجة لان حالة النجدة والفروسية لاتستكمل الا بأسباب ومعان منظومة وخصال عجيبة تشهد لاهلها بالكرم وبعد الهمم وطلب الغاية وتدل على الادب الشديد والرأي الاصيل والفطنة الثاقبة والبصيرة النافذة لان صاحب الحرب لابد له من علم وحلم وحزم وعزم وصبر وكتمان وثقافة وكثرة تجربة وبصر بالخيل والسلاح وخبرة

بالرجال

بالرجال والبلاد وعلم بالمكان والزمان والمكايد ودراية بما فيه صلاح الامور كلها والا فكيف يصل بالقهر والغلبة الي فتح بلاد ليست له وأخذها من يد أهلها واستعبادهم وقد خلقهم الله أحراراً الا بهذه الخصال والملك لا يستقيم الا باسباب متينة تزيد فى تمكينه وتقطع أسباب المطمعة فيه وتمنع أيدي البغاة من الاشارة اليه فضلا عن التسلط عليه

وناهيك بأمة لم يزد عددها على الاربعة عشر مليونا من النفوس واقفة بالمرصاد من يوم أن سوّاها الله تعالي لاربعمائة مليون من النفوس من غير دينها تناويها الشر وتترصد لها بالغدر وهي لا تبالى بهم قائمة بأمر دينها وملكها ناظرة الي باذخ مجدها وشرفها ليس لها شغل الا الحوطة على الشريعة والسنة وتأمين جماعة المسلمين على كتبهم وأسفارهم وحفظ دينهم من كل شر فلو أنزلنا الناس منازلهم ووفيناهم حظوظهم من الحياة الدنيا فالترك حراس البيت العتيق الحرام بيت الله وأهله وحجاجه وزوّاره وزمزم مزمم جبريل صلوات الله عليه والحجر الاسود ومقام ابراهيم خليل الله صلوات الله وسلامه عليه

وكلما اطوّفت الناس بالبيت العتيق وتقادم البنيان عليه وتعاوره كرور الزمان وزاد فضله على سائر البلدان التى لم يخل منها بيت من البيوت المقدسة ازداد فضل الترك على سائر البشر لانهم وقفوا أنفسهم وسيوفهم ورماحهم وخيلهم عليه

ومقام النبي صلي الله عليه وسلم وقبور عترته وصحابته رضى الله عنهم مصانة بأيديهم وكتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه محفوظ بخدمتهم محروس بسيوفهم ولا مشاحة فى تمام اعتقادهم وحسن اسلامهم يدل على ذلك قيامهم بالمكافحة عن الدين والمسلمين دون غيرهم من مسلمي

أهل الارض من عجم وغرب وعرب فلا عجب ان كانوا مرمي سهام أوروبا بأجمعها والمقصودين منها في كل تهديد ووعيد ديني عند مايريدون انفاذ غرض لهم دون غيرهم لانها فرغت من غير هذه الدولة واستأنست منهم خيراً

ومما يدلنا على تأييدهم بروح الله أنهم على هذا الحال منذ نشأتهم من سبعة قرون تبدل فيها الزمان وماتبدلوا وتحولت الدنيا ولم يتحولوا وسوّى الله سبحانه وتعالى بين الابناء والآباء فلا يختلف جيل عن جيل ولا تحذو طائفة الا طريقة من قبلها فان كان الذي بين أيدينا من أسباب حفظ الدين التي شرحناها لك حقا فاننا لم نستوثق عليها الآ بهم

ومن لطيف مايستظهر به على فضل الترك أن سيدنا عمر بن الخطاب لما أنفذ الجيش الذى كان جهزه سيدنا أبو بكر لغزو بلاد الفرس وفتحوا المدائن واستأصلوا الفرس وصارت الدائرة عليهم واتبعت العرب أثرهم أمر سيدنا عمر بن الخطاب بتوقيف القتال وعدم الانسياب في بلاد الترك « التى هى بلاد المغول والتركمان » فكانه رضي الله عنه رأى بعين بصيرته وليست بأول مرائيها أن هؤلاء القوم سيكون لهم في الملة شأن يذكر وأن الدين الاسلامي لاحق لهم عن قرب وكان كذلك فانه لما آلت الخلافة الى بني أمية وتولي عبد الملك ابن مروان واشتغل بالفتوحات وولي قتيبة بن مسلم الباهلى غزو الترك الشرقى دخل فى جبال المغول فقبل أهله الدين الاسلامي بكل شوق وساعدوا العرب على الفتح ونخص منهم قبائل بلخ وما جاورها حتى تم للعرب فتح تلك البلاد ودخلت الصين وأخضعت بعض ملوكها وأخذت منهم الجزية وهم صاغرون

هذا مجمل حال القوم اختصرناه اختصاراً لا يمل منه سامعه وكل خصلة من خصالهم التي ذكرناها تقوم عليها ألف حجة من بيان وألف شاهد من عيان

عيان حتى ان الذي يسمعها ولا يقبلها لايشك في أن كفره بها كفر حمية وجهالة لا كفر دليل وبرهان

والترك لهم من غرائب الاعمال مالو أسند وقوعه لنبي من الانبياء لجاز دخوله فى باب المعجزات فكيف ترى تسيير السفن على اليبس مسافة فرسخ عند حصار القسطنطينية من المكان المسمى طوله بنجه الى المكان المسمى قاسم باشا والارض مغطاة بألواح الصنوبر المدهون بالشحم كل هذا فى ليلة واحدة حتي اندهش المحصورون تمام الاندهاش حينما شاهدوا أسطولا من السفن الحربية انحدر من الشاطئ الي مينائهم الحصينة انظر ما قاله البرنس ديمتريوس كانتمير المؤرخ وحكاه عن حصار الاستانة ورواية المؤرخ روكا وأنت تعلم مما وقع من الافعال قدر أولئك الرجال

أما الحكومة التي تحكمهم فان لم يكن لها فضل الا قوة تسخير هذه النفوس حسب ارادتها وادخالها تحت طاعتها وانها انتقلت بهم وبقوة تدبيرها من قرية الى بلد الى مملكة الي اقليم الى أقاليم حتي لم يبق في قارة آسيا موضع ما الا ووطئته ولا فى غيرها عدو ما دهمته ولا حاربته الا وغلبته لكفى وكان فى هذا القول مقنع وأى مقنع انظر بعين الانصاف تجد ان هذه الامة لم ينشق عنها عماء العدم الا وكل فرد من أفرادها كون على حدة واستملت على معاصريها حتى حسدوها على منهجها وغبطوها على شرعتها . ولكني خوفا من أن تقول (لا يدرك المجد بالصراع) وتطلب مني أن أطلعك على شيء من مدنيتهم التي جاروا بها الامم وسلكوا بها سبيل التقدم استجمعت لك بعض الشيء الذى وعيته فى ذهنى من أعمالهم وهو أصل تقدر لو انصفت أن تبنى عليه فروعا كثيرة

تعلم عافاك الله أن التسامح فى الطباع أمر لا يمكن أن يتصف به غير الانسان الكامل فانهم قالوا في الآثار (لا يزال الهرج ظاهراً متي كان التغابن بادياً ) والخروج عما في اليد من المال والنعمة والسطوة والعزة لكل من وسم بالانسانية بدون رعاية مقيدة ولا شرط متفق عليه من أخص خصائص الفضائل لانهم قالوا من عز بز ومن قدر قهر. ولذلك فانى سأبين لك معاملة الاتراك مع أعدائهم وأخصامهم حتي تأخذ منه بقدر حاجتك وتحكم بانصافك على من تكون هذه معاملته مع عدوه أيمكن أن يتصف بالشر والغدر مع أبناء جنسه

وذلك انه بعد فتح القسطنطينية (الامر الذي كان حاجة في نفس كل مسلم من عهد حملة سيدنا سفيان بن عوف التي أمّره عليها سيدنا معاوية رضى الله عنهما فى سنة ٤٧ هجريه وما أعقبته من الفتوح ) وتملك بيت المقدس كما سيأتي . تمّ للترکی أن يكون قابضا على كرة العالم بيد قدرته المطلقة وعظمته الوافرة ديانة وسياسة يلعب بها فى فضاء الفلك لا يستطيع أيّ جبار فى الارض أن يقوم بين يديه بحركة الشفتين لان دخول القسطنطينية فى يد الترك أوّلا ودخول الارض المقدسة فى يدهم ثانيا لا يشبهه حادث تاريخى ويكفي أن الاول اعتبره المؤرخون في الآفاق حداً فاصلاً لزمن تاريخ القرون الوسطي عن تاريخ الازمنة الحديثة لان الكثير من الملوك رامه فامتنع عليهم ولم ينالوا شرفه مع ماصرفوه من الهمم والاموال وأفنوه من القواد والرجال . ويكفي أن الثاني كان ولا يزال موضع عبادة الامم تتفانى فيه النفوس كلما وجدت لذلك سبيلا ولكن مع جلالته بهذا المقدار لم يغير من أخلاق التركى الكريمة شيأ فلم يبدل

سجاياه

سجاياه ولم يحله جباراً عنيداً غشوما ظلوما كما أحال أقل فتح أو انتصار طبيعة كثير من ملوك الدول والامراء وأقرب مذكور وعود بريطانيا فى مصر بل أبقته على حاله من الشفقة والمرحمة لانه بعد ما أتم الدفاع عن أملاك المملكة وصونها والاستمتاع بها بدأ باعطاء حرية الاديان للشعوب وأبقي لها دينها وكنائسها وجنسيتها ولغاتها ومكاتبها وأباح لها أن تقيم شعائرها القومية والدينية المقدسة بالفرامين الصادرة من نفس سلاطين آل عثمان لا خوفا من أوربا لان أوربا كانت تخاف على ذاتها منه فضلا عن ان تتداخل بحرف واحد ولا خوفا من عصيان تلك الامم لان السيف التركى أخاف منهم النطف في الاصلاب قبل أن تخلق فما كانت تلك الامتيازات التي يحتج بها الناس اليوم الا رأفة بالشعوب الضعيفة وخدمة للعالم الانساني من أولئك الجبارين الظالمين الذين استنزفوا دماء الضعفاء باسم التمدن واحتكروا المنافع والاعمال والصنائع ووسائل الحياة بل منافذ الضوء والهواء بل كل ما يجري تحت تصرف الانسان فليتأمل الناظر فى تسامح الدولة فى الوقت الاول للنصاري وقسسهم ورؤسائهم ومجاملتها لهم فى المعاملة أزمان أن لم تكن مقهورة على فعل ذلك ولم تكن أوروبا متحدة على طلباتها ولينظر أخذها الآن على يدهم وامتناعها عن اجابة أوروبا فى كل ما تدعيه اصلاحا ليعرف ان الفضل المتقدم كان من السجايا الفاضلة الغريزية وان المنع الحاصل الآن هو من الحزم الممدوح لا كراهة في ذات الاصلاح

اتفق العلماء الذين بحثوا فى سبب اباحة الدولة العلية للدول والاجانب الامتيازات الشاذة عن القوانين المقدسة على انها لم تمنحهم اياها الا كرامة من عندها لانها لم تكن مضطرة اضطرارها الآن لمطالب أوروبا بل كانت وقتئذ

في عنفوان دولتها ذات قوة ومنعة لا يرهبها وعيد ولا يهولها تهديد ولان الدول المسيحية لم تطلب منها تلك الامتيازات بصوت واحد ولا توعدتها بحشد الجيوش ومعاملتها بالقوة والاكراه اذا هي لم تمطها ماطلبت عفوا فالسلاطين لم يفعلوا مافعلوا اكراها بل عن طيب نفس وخاطر ولم يعتنوا بمزج الشعوب التى أخضعوها وجعلها أمة واحدة بل حفظوا لتلك الشعوب صبغتها وتقاليدها الاصلية وعدوها كأجنبية عنهم واستشهدوا على ذلك بأن السلطان محمداً الفاتح نصب بطريركاً للروم فى القسطنطينية وأعطاه الامان على دينه وسلطانه على أبناء طائفته فبقى الروم ممتازين عن الفاتحين ولم تسع الحكومة قط فى مزجهم بسائر رعيتها ولاحاولت تغيير عوائدهم ودينهم فكان بين الفريقين حد فاصل ولكل منهما حياة خاصة وهذا التفريق هو الذى أبقى لتلك الشعوب استقلالها ومكنها من حفظ جنسيتها وحياة أمتها على مر السنين فعند ما كفرت النعمة وخرجت عن الطاعة لم يصعب عليها الانضمام لانها منضمة من قبل ولقد ذاقت الدولة وأتباعها من هذا التساهل مرارة الى اليوم وهو عند أرباب السياسة غلط كبير فان هذا الفعل لم يفعل بحجة شرعية ولما كان فى غير موضعه نجمت عنه الاضرار الجمة وجاء فى مقام العظة لاوروبا الآن فانها لم تستعمر بعد قرية أو بلداً الآّ استبدلت أخلاق أهلها فضلا عن دياناتهم واستنزفت دماءهم فضلا عن ثروتهم وارتكبت أنواعا من الفظائع المنكرة تستك من هولها المسامع وتتبرأ منها الهمجية كل ذلك بدعوي ارهاب البلاد حتى لا يمكنهم أن يثوروا بل ولا ان يتفكروا فى الثورة والخروج عليها واذا أمكنهم شيء من ذلك بعد طول الامد فالنجاح يكون بعيداً عنهم بمراحل ومما يدلك على ان هذا الفعل فاق عن حده بل زاد عما كانت تنتظره النصارى

لانفسها

لانفسها قول فولتير بعد روايته حوادث هذا الفتح وتكلمه على ما أبقاه السلطان محمد الفاتح فى يد النصاري من الكنائس والصوامع بما ترجمته

ان الاتراك لم يعاملوا النصاري بقسوة كما نعتقده بل فاقوا في ملاطفتهم اليهم نفس أهل ملتهم ولا تجيز أمة من أمم النصارى أن يكون فى بلادهم مسجد للمسلمين أصلا بخلاف الاتراك فانهم يسمحون للمقهورين بأن تكون لهم كنائس وكثير من هذه المعابد بجزائر الأرخبيل تحت مراقبة حكامهم ثم قال فى موضع آخر ما ترجمته

ان مما يثبت صراحة أن السلطان محمدا الفاتح كان حاكما عليما فى تركه للمسيحيين المقهورين الحرية في انتخاب بطريرق لهم وتثبيته له مع التعظيم وتسليمه عصا البطريرقية والباسه خاتما حتي قال له البطريرق انني خجل مما لاقيته من التبجيل والاحتفاء الذي لم تفعله ملوك النصاري مع أسلافي ومع هذه المعاملة التى شهد بها البعيد قبل القريب والعدو قبل الحبيب فقد أثار هذا الفتح عوامل الغضب والحقد عند ممالك أوروبا وكان سبب الحملات الصليبية التي جهزتها ملوك النصارى خصوصا عند بابا رومية كالكتوس الثالث لما كان يرجوه من ضم الكنيستين الشرقية والغربية الى بعضهما فسعي حتى تم له تأليف حملة صليبية وأغار بها على حدود المملكة العثمانية بأوروبا سنة ٨٦٠ الموافقة لسنة ١٤٥٦ وكان ما كان من اثارة نار الحرب بين الطرفين ولكن كتب الله للمسلمين النصر ففتحت بلاد الصرب وغيرها وفقدت تلك البلاد امتيازاتها تماما

هذه معاملة الاتراك مع أعدائهم فى سنة ٨٥٤ أى قبل سنة ٦٠٠ أزمان انفراط سلك العدل والانصاف. ونماء الجور والاعتساف. ولنا أن ننظر

الآن لاعمال أوروبا ومعاملتها لطوائف المسلمين أيام المدنية والعمران والرفاهية

هذه بلاد الترانسفال تعامل فيها طوائف المسلمين معاملة البقر يسمون كل لابس طربوش أحمر ( كولي ) وهو اسم طائفة من فرقة المجوس ويعتقدون ان الاسمر ليس من ولد آدم ولا يسمحون لهؤلاء ولا هؤلاء بركوب الدرجة الاولي والثانية بقطارات السكة الحديد بل يركبونهم عربات مكشوفة أشبه بعربة الحيوانات بل هي هي ولا يبيحون لهم ان يجلسوا فى مواضع الاستراحة ويؤدبونهم بالسوط ولا يجيزون لهم ان يمشوا على حواشي الطريق المحجرة ( الترتوار ) ولا أن يقف المسلم الابيض أو الاسود بجانب الاجنبي أمام القضاء وقد ظهرت منذ مدة حالة وبائية فاذاقوا المسلمين من المعاملة ماحبب لهم الموت بها منعوهم من تغسيل أمواتهم وحكموا عليهم بأن يطلونهم بالنورة والقيولف ( وهو نوع من الزيوت ذو رائحة كريهة ) فضلا عن التضييق عليهم في المحاجر فلا طعام ولا شراب ولا راحة ولا نوم الارض وسادهم والسماء غطاؤهم مع شدة الحرارة التي لا تطاق وزيادة رطوبة الليل وجميع المسلمين الذين هنالك يبلغون ( ٣٦٠٠ ) مسلم وهو عدد لا يعد في جانب النصاري هناك ولكن وجود مسلم واحد شجى في حلوق النصاري لا يهدأ لهم بال ولا يستريح لهم خاطر حتى يبيدوه على غير ذنب جناه الا ماله من الفضل المتقدم * ومن هنا تعلم ان المسألة الشرقية التى هي عبارة عن كراهة وجود الترك بل الاسلام في قسم أوروبا نشأت مع الدولة نفسها من يوم أن دخل تحت يدها ذلك القسم وأسست عليه دولتها الفخيمة * فالدول الاوروباوية تطاردنا عن هذه القارة والذي قوي هذا العزم وعمم أسبابه موضع الدولة من

جهة

جهة وتوالى الفتوحات من جهة أخري فان الانتصارات أحدثت في نفوس الامم المقهورة عداوة شديدة وموضع الدولة بلغ فيهم بالنكاية مبلغها لانها فى الشرق ولانهم فى الغرب والشرق من تواريخ لايهتدي اليها مفضل عن المغرب مشدد فى احترامه قال ذلك مهاباد صاحب الدين الاول وكيومرث وزرادشت والمسيح عليه السلام وبودا صاحب الدين الصينى والاديان الاخيرة التي ظهرت من زمان سيدنا ابراهيم عليه السلام كلها فى الشرق والقبلة فى الشرق والحال يدل على انه محل لمدنية عظيمة وملك عظيم وعلو وصنائع ذات شأن وشرائع أبدية لاتنتهي فان كانت الارض شطرين شرقا وغربا فنصفها حى ونصفها ميت

ويكفي لتحزب النصارى على دول الشرق وبعبارة أخرى على الدولة العلية كون أرض سوريا التى هى أقدس مكان عندهم تحت يدها وفيها مبعث ابنياء بنى اسرائيل ومحل ميلاد السيد المسيح وأمه ومحل سياحته ووطن معجزاته وقبره وميدان الدين المسيحى ووطن المعمودية والانجيل ومحل معراج المسيح الي السماء وبيت المقدس الذي هو كعبة كل مسيحى والصليب الدينى الموضوع على كل قلب الذي تحيا عليه النصارى وبه تموت ونهر الاردن الذى هو منبع ماء المعمودية التى يصالحها كل مولود ويودعها كل راحل فكما أن العرب الذين حملوا الدين الاسلامي اليها لما استولوا على البيت المقدس وعموم سوريا وازالوا علاقة الدول المسيحية مع قبلتها ونشأة دينها ذاقوا مرارة الحروب الصليبية التى أثارها بابا أورليان الثاني وغيره كذلك ينبغي ان تستعد الدولة العثمانية للحروب الصليبية التى تثيرها علينا الآن دول أوروبا لان استسلام عربستان للسلطان سليم رحمة الله عليه أتم على المسيحيين يأسهم من

تحرير وطنهم وأوجب عليهم تشديد الخصومة للشرق التركي باشد مما كانت عليه تلقاء الشرق العربي فان لم تكن الاتراك أهل عزم وحزم ولم يقم بينهم الوازع الذي يدفع غارة هذه الامم المختلفة الجنسية والشعوب التي كل واحد منها يجر الي هواه لما بقي هذا الملك فى يد أهل الامر منهم وانتقض ولم يتمكنوا من حفظه والحوطة عليه لان أصحاب البلاد كانوا ولا يزالون متكالبين عليها ومنتهى آمالهم أن يعيدوها جاهلية قيصرية وأهل هذا المذهب ليسوا صامتين فننطقهم لك حتى تصدقنا ولا لاهين عنه فنغويهم لترضى حجتنا بل هم متعرضون له تعرض المستميت بعزم الواجد لا المتكلف ولا تزال حكماؤهم يغرون به سفهاءهم على طول الايام

وأحسن من هذا فى بيان انتظام حكومتهم التجاء الامم الكثيرة والاجناس المتعددة ودخولها تحت الطاعة الذى لا يكون أبداً الآ بعد تحقق العدل والانصاف فقدامها عدد وافر من اليهود والنصاري فارين من سوء المعاملة التي نالتهم في مذاهبهم ومعتقداتهم والتجأت اليهم ملل الارض بأجمعها وهي عدد لا يمكن أن يتفق على ضلالة وأن يخطأ فى خاصة نفسه بهذا المقدار فارّين كذلك من ظلم العجم وما ألم بهم من البلوي ودخلت طوائف أخرى ممن ابتلوا بالنهب والسلب وكل هؤلاء ذاقوا لذة العيش وهناء الخال وشهدوا ان الامتيازات الممنوحة للطوائف الاجنبية فيها تسامح كثير جداً

وقد عد كثير من مؤرخي النصاري مقدار ما افتتح من البلدان بقوة السلاح وبين ما انتمى لها وأطاع بالمسالمة والرغبة فكانت النسبة بينهما نسبة خمسة الي ثمانية وكل سلطان من آل عثمان يفتخر كثيرا بحماية المذاهب والاديان والنصارى واليهود لو أنصفوا لقالوا انهم في بلاد الاتراك آمن بكثير على أنفسهم

واعراضهم

واعراضهم وأموالهم منهم ببلاد النصاري خصوصا جماعة اليهود الذين هم محل الضعف والمقصودون بالحيف لما بيدهم من أموال الناس

وقد امتدت هذه الحالة الحميدة ونطاق الحب متسع بين كل الطوائف الى أن انتهت المحاربات الدينية وحقن ما كان يراق بيد الاختلال وكفت يد الظلمة عن ابادة الانفس وازهاق الارواح التى لا تدخل تحت حصر في سبيل غاياتها الشخصية وانطفت نيران الفتن بين مذاهب الكاتوليك والبروتستانت وغيرهما من ملل النصاري، وبطلت المجادلات القائمة بينهم فنظرت لنا أوروبا فلم يرق لها ما نحن فيه من الخير والاحسان وراحة القلوب والابدان وأرادت أن تعيد الجوي القديم فزينت لهم شهواتهم ركوب الاخطار

نظروا فى أصول الدين وفروعه فوجدوا سبيل جميعها غاية في الكمال ودلائلها وعللها متساوية فى درجة الوضوح تستولي على النفوس التي تردعليها بقوة الحجة وظاهر الدليل ثم قابلوا ما عندنا بما عندهم وصدقوا أنفسهم في البحث فلم ينصفهم العقل ولا القياس فساءهم ما رأوا من صلاح ما نحن فيه وفساد ما هم عليه وأبت طبائعهم نقلها عن عاداتها التى ألفتها وعز عليهم أن يخضعوا أنفسهم بالقهر والغلبة فلم يسعهم الا السعى في احباط مساعينا

نظروا فرؤا ان البلاد لا ثلج يبلها ولا عواصف تذروها ولا حوادث تفنيها وليس الا مزايا الطبيعة الجميلة فيها اعتدلت فيها الاخلاط وتساوت الاسباب وتكافأت العلل ورأوا فى الامة حركة من غير ثوران واجتماعا من غير فراق وزيادة من غير نقصان والناس أصدق ورعا وأبعد همة وأقل اختلافا وأدوم على الحق طريقة وأبذل عند الطلب مهجة وأقل منعا وجمعاً لانهم أظهر زهداً وجهداً نخافوا على طوائف المسيحيين الذين تحت حكم المسلمين أن

يصيروا الى هذا الاصل المشتمل على هذه المكارم الحقةوخافوا عليهم من ترقيهم بمحاسن الاخلاق الظاهرة الطاهرة فرأوا أن يستعينوا بألسنة المرسلين الموكلين بالاكاذيب والاضاليل ينشرونها فقائل مأجور لسامع محجوب وناصح غاش وأمين غير مؤتمن وهؤلاء الخونة يقولون تحت دعوي هداية الافكار التى تدعي القيام بها جماعة الكتاب كل رذيلة تثير الافكار والخواطر وتشعل نار الحقد والبغضاء يريدون بذلك تغير النوايا على ملة الاسلام من كل جانب وانقلاب قلوب رعاياه ليتمكنوا من نقض الاساس وابادة الحكومة وتبديل هذا النظام واطفاء نور الله ويأبي الله الآ أن يتم نوره ولوكره الكافرون

وستار التمويه التي اتخذته دول أوروبا لتشخص من خلفه هذه الألاعيب السياسية لترويج مقاصدها الدنيئة وتحمى منافعها الباطنية بسببه دعواها زورا على رؤس الاشهاد انها لم تبارز أمم الشرق والدولة الاسلامية وتحاربها وتستهين باراقة دماء عساكرها وتخرج من مالها ورجالها الا لأصلاح حال المسيحيين فى الشرق وبث التمدن والحضارة فى ارجائه شفقة على أهله الذين انهكتهم الوحشية والهمجية وحرموا لذة الحياة الدنيا ونعيمها وقد اختصت كل دولة بناحية وجهت اليهاقوتها وهم متآزرون في كل أعمالهم باطنا والذى تولي اقامة الحد علينا لتأديبنا على ما اتهمنا به من الذنوب باطلا واخراجنا من الجهل الذي نحن فيه بيد فضله هي دولة الروسيا كما نادت فى الحرب الاخير بذلك

فقامت تخاطبنا بمظهر اوروبا بعد ان دست سم دسائسها فى بلادالدولة وجعلت آلتها في ذلك نصارى الروم ايلى الذين قلدتهم أيدى الدولة العلية اكبر الوظائف وأحرزتهم أجل علامات الرضا ولم تكرههم على شىء أبدا مع القدرة عليه ولم تلزمهم الخروج من دينهم وتضطرهم الي اعتناق الدين الاسلامي

وهم

وهم ناقضون لعهودهم التى أوجبتها الشريعة الاسلامية الغراء وتسامحت وتساهلت فنظمت مكاتبهم واداراتهم وحسنت أراضيهم ومزارعهم وساعدتهم بما لم ينله أحد من الناس الا فى ظل المسلمين صلاتهم قائمة غير ممنوعة وعوائدهم جارية غير مقطوعة فلا بيعة هدمت ولا كنيسة خربت

وهؤلاء وان كانوا ذاقوا هذه النعمة وتمتعوا بها وهم من أجناس متباينة وأهواء مفترقة ومذاهب مختلفة ولكن تجمعهم العادة ويضمهم الاتفاق للرابطة الدينية والشمائل المعهودة فيهم ان يكونوا علينا مع أوروبا لاننا فرطنا فى الانتقاء وأفرطنا في القربى لحد زاد عن الواجب بحيث لم نجعل بين العدو والحبيب تفاوتا أبداً حتي في المناصب المهمة والمكاشفة بجميع الامور فوقفوا على سهول الدولة وجبالها وبرورها وبحارها فلما رأتهم أوروبا مستكملى العدة لا ينقصهم شيء الا التوجه للمقصد السيىء الذي يراد منهم دست اليهم دسائسها فانقلبوا دعاة للنقابة الاورباوية وبهرجوا بالنميمة مع كل الدول الذاهبة مع هذه الريح وغيروا سيماهم الموصوف ولباسهم المعروف واختلت مودتهم وحلوا بأيديهم ما كان مرتبطاً بهم ليدخلوا سم الغرض والاختلال فى تدبير الحكومة وسيرها وقد كان

وهذا جزاؤنا ممن أحسنا اليهم وعقابنا ممن نصرناهم جعلوا أنفسهم تراجمة السوء ينادون بويلات الظلم والثبور للملل المسيحية ويجعلون شغلهم تبليغ ظلامة النصاري على الوصف الذى تريده أوروبا ليمكنها اقامة الحجة على غاياتها وحقيقة الحال غير ما يقولون

وقد جهد المرحومان على باشا وفؤاد باشا فى هذا الامر جهدهما ووضعوا تنظيمات جديدة لدفع هذا الخطر واعادة روح الحياة فى الدولة وتخليصها من

هذه المشاكل وتوفقا لان يقطعا على الروسيا حججها التى رتبتها على اهانة الدين المسيحى فى البلغار ويكفاها عن الشكوي بلا موجب ولكن ماذا يفعلان وأوروبا لا تقترح أمراً الاّ وفيه المغمز من جهة المعتقد والدين فان منعناه وحقنا أن نمنع رمينا بالتعصب الدنى وان قبلناه واحتملنا الخطيئة أحدثوا فى تنفيذه إشكالا حتى تدعي علينا بأنا نقول ولا نفعل

ومع هذا عند ما رأت الروسيا منا أخيرا شبه مقاومة معنوية فى هذه المسائل نزعت الى الماديات فدبرت الحيل لنوال غرضها وهى محاربة الترك تحت عنوان انقاذ المسيحيين فى الشرق وأول ما فعلته انها سعت فى طرد بعض الجراكسة من بلادهم والجأتهم الى الدخول فى اراضى الدولة العلية وأوعزت من جهة أخري الى وكلائها في جهات البلغار ان يدفعوا البلغاريين الذين في جوار ( ودين ) على المهاجرة منها وانتظروا حتي خلت منهم البلاد وأمتها الجراكسة بضرورة الحال فناى المنادى بان الدولة العثمانية أخرجت بسطوتها النصارى من بلادها واستعاضت عنهم بالجراكسة ثم طلبت من الدولة اعادة البلغارين لبلادهم التى تركوها باختيارهم وهو نحو ٣٠٠٠٠ فاستأجرت الدولة لهم سفنا وأوصلتهم الي أراضيهم التى تركوها ورجعوا اليها لا بخلا ولا كرما ثم سيرت الروسيا فرقا منتظمة من كيشنف على بطريق بكرش فعبروا الطونة بجوار زيشتوى ووصلوا بالقرب من البلقان فيما بين طيرنوي وسروي ودسوا دسائسهم للبلغاريين فردتهم الحكومة وشتتهم واعانها بعض الاهالى ثم بعد ان جاوزوا الحدود قتلوا ثمانية أولاد كانوا خارجين عن المدينة وأوهموا المسلمين ان النصارى قتلتهم انتقاما من المسلمين فقام الهرج والمرج في تلك الجهة وأوروبا مع علمها بباطن الامر صدقت على ان المسلمين

ظالمون

ظالمون للنصاري

ثم قبل ان تطوى هذه المسألة بيد الايام سعوا بحيلة أخرى وهى انهم استعاضوا عن ارسال معلمين روسيين لتربية أولاد البلناريين بان أخذوا أولئك الاولاد للمكاتب الروسية وبثوا فيهم روح الفساد حتى اذا عادوا لبلادهم يكونون من أمهر الدعاة فى بث المبادى فعملت وجاء أولئك التلامذة عاملين على نشر افكار البانسلاويزم (أي الجمية السلافية) فازداد الفشل والاختلال واشتدت الحركات السلافية وأحاطت المصائب بالدولة مما سلف ذكره وشددوا في الاسباب حتى وقعت المحاربة المعلومة المشؤمة وتحريرات البرنس غورشاقوف التى نشرت في جريدة بطرسبورج الرسمية المؤرخة ٩ نيسان سنة ١٨٧٤ تشهد على ان الغاية من الحرب لم تكن الوصول فقط الي حدود الاستانة بل وراء ذلك مقصد آخر

ثم رفع الامر الي مهبط حكمة التقسيم ومتنزل روح الشر والفساد مدينة برلين ولا يصح ان تنسي ان كان شئ ينسى ما تضمنته تلك المعاهدة التى دونتها يد السياسى الشهير (بيسمارك) الذى لا يقدر قدره الا الملة العثمانية والامة الفرنساوية

اجتمع المؤتمر في ٣ يونيه سنة ١٨٧٨ وانتهي في ١٣ يوليو سنة ١٨٧٨ وقضي على الدولة بالتمزيق فى مسافة ثلاثين يوما تقريبا فكانت المسئلة أشبه باتحاد الدول ضد فرنسا فى تقسيم بولونيا فى سنة ١٨١٥

وأغرب ما وقع فى احدى جلسات المؤتمر عند اعتراض مندوبي تركيا على اقتراح بسمارك احتلال جنود النمسا (بوسنه وهرسك) احتلالا لا أجل له * قول بسمارك (ان قصد هذا المؤتمر رعاية مصالح أوروبا والمدنية

لا مصلحة تركيا ) ومع هذا التصريح فان انكلتره بعد تأييدها هذه الاراء وعدم اعتراض مندوبها على شئ مما قرره المؤتمر ظهرت فى آخر الامر بمظهر النفاق حتى تمكنت من أخذ قبرص وعند انصراف مندوبهامن المؤتمر أعلن ان المؤتمر قوى سلطة الدولة العلية وايد سعادتها مع انه لا توجد اخصام اجتمعت لخداع خصمهم بوسيلة سافلة وطريقة غير حقة مثل هذا الاجتماع أبدا وقد تحرك الشرفى الشرق بهذه الاسباب بدعوى وقاية النصارى وليس الغرض من هذا الا استخلاص المسيحيين الذين تحت حكم الدولة لاوروبا وتسليطهم على الدولة بالفتن والفساد ثم يقولون بعد ذلك للمسلمين ان كنتم تريدون الاقامة فى هذه القارة كونوا نصارى كما قالت ذلك نصارى اسبانيا لمسلميها .

هذا بعض حال الروسيا مع المسلمين وهى تستعد كل يوم لتجنيد الجنود وتحشيد الالوف على الحدود وتتربص الفرص للوثوب وانتهاز ساعة مناسبة للزحف لانها أشد الناس عداوة لهذه الملة للجوار فان عداوة الجيران شبيهة بعداوة الاقارب فى شدة التمكن وثبات الحقد ولا ينسي مافعله غيرها على سبيل الموازرة في حل هذه الملة وابادتها حتي أصبحت الحياة السياسية العثمانية بل الملة الاسلامية فى الشرق محفوفة بالمكاره محوطة بالمطامع الكثيرة من كل طرف

قد أصبحت أوروبا تحاربنا بالسلم تدعى انها فى اتفاق معنا أو مع غيرنا يعود علينا نفعه وليس ثم اتفاق فيما بينهم فيما نسمع الا علينا سواء فى ذلك الثنائى والثلاثي فان الاتحاد العظيم بين طوائف النصارى تمَّ على ان نكون بانفسنا وبلادنا وأموالنا بمثابة القربان والاضاحى لغاياتهم وقد حيل بين كل

مسلم

مسلم وما يشتهي بحيث أصبح الانضمام متعذرا ولا بالروح والجنان لان بين كل بلدة وبلدة حائلا من غير جنسها يمنعها الالتئام وبين كل بدن وبدن حائل من الشهوات والغايات يمنعان الاتحاد بل الكثير منا ينطق بلسان عن غير ضميره وحسبنا خلافا بينهما فى انسان

انظر لحيلولة الروسية بين الفرس والاتراك بل بينهم وبين أصل شعبهم ملايين التتر والماغول التي تحت يد الروسية الي منتهي سبيريا ودون مصر والحجاز واليمن والهند والصين كل هذا ليمنعوا امتداد دواعي الاتحاد والاتفاق بل وجودها في الاذهان وليعلموا حالنا فلا تخفي عليهم خافية أبداً

استغفر الله بل توصلوا لحل الرابطة الدينية وجعلوا اختلاف المذاهب وتنوع المشارب اكبر وسيلة لما أرادوا فاستعانوا بنا علينا وخربوا بيوتنا بايدينا فان بريطانيا ما استقرت في الهند الا بمعونة الافغان وفرانسا ما تم استيلاؤها على الجزائر الا بمساعدة المراكشيين والتونسيين وكان لدولة الايرانيين يد عاملة فى انتصار الروسيا على العثمانيين * فمتى تتألف العناصر وتتلاصق الجواهر * وهذه الآلات عاملة على التفريق * تتوالي الفتن وتوغل الدول فى قلوب بلاد الاسلام متفننة في الاطماع متلونة في الفتوح بالالوان الكثيرة فمنها ما يزعج مظهره وتفزع رؤيته ومنها ما يخشى مخبره وتحذر مغبته ومنها ما يبهج منظره وتسر طلمته ومنها ما يخدع مبدؤه ويغر عقباه وتلك الالوان هى حماية المسيحيين * رعاية المصالح الاوروباوية . وقاية البلاد * اصلاح البلاد باعادة النظام نشر المدنية * الاحتلال الموقت * الاستعمار وكل هذه الالفاظ لا معني لها الا استيلاءهم علينا وتملكهم لنا بدون حرب ولا كفاح * يغتر الجاهل بتنازعها الظاهري ويفرح المغتر بتوقف تيارها مسافة من الزمن

وانما هي حكمة من حكم الدهاء لتأكل الفريسة لقمة لقمة فلا يعسر عليها الازدراد ولا يتعذر عليها الهضم اذا هي التهمتنا مرة واحدة

وما كفى الغربيين هذا التلاعب حتي طلبوا منا ان نعتقد بان الغربي هو النصوح المحض والمحب الصرف وانه لا يريد بجماعة المسلمين الا خيرا ولا ينبغي ان يسأبه الظن أبدا لانه مبرأ عن النقيصة خال من العيوب والزلل وهذه الشبهات المزورة والاباطيل المموهة تجلت فى صورة الحق والبست على الناس بصناعة القول لان الغربى قد أصبح قادرا على أن يتحول فى هيئة المظلوم وهو ظالم ويصور الباطل فى صورة الحق اذا شاء طفاوان شاء رسب واشد ما سمع الناس ورأوه فى معني دهائهم انهم يتراءون في مظهر الانقباض والاسف اذا ازورينا عن نصيحتهم ويظهرون الألم الشديد اذا نبذنا طاعتهم وأظهرنا عدم الانقياد لهم كانهم يريدون ان ينقلوا الينا صورة معاشهم ونظام أحوالهم لنعيش مثلهم في أرفه حال واطمئنان بال وابتهاج خاطر ونكون عنهم خلفاء كما يفعل المربى بمرباه وهم أضن عافاك الله من ان يفعلوا هذا مع من يشذ عنهم في البسائط من أهل جلدتهم فكيف بمن لا يلتئم معهم فى شيء ولا يلتقي معهم بطرف من كل طرف بلدا ودينا وسكنا وملة وطبعا وعادة وانما الغرض من هذا ان يدخلونا فى المضائق التي اتخذوها لنا دون استصباح لداخل ظلمتها فنقع فى أشد الحيرة ونهوي فى تيار الغفلة ثم نستنجدهم فلا ينجدوننا وكيف ينجدوننا وهم يرجون لهذا الكيد مزيدا فعل العدو البحت والظالم المحض

انظر للرومانيين لما وصلوا الى التصرف بالامر والنهى في جميع الامم ماذا فعلت بهم الاعداء سيروا أمرها بمسير الحكمة ففطنوا الى أن هذا

السلطان

السلطان العظيم لم يكن كله من طريق دربهم بالحروب فقط بل بضمهم خصال الحزم والتعقل والثبات والميل الي الفخار وحب الوطن اليها فما زالوا حتى أزالوا هذه الصفات من ملوكهم وابدلوها بعوائد السوء وخلال الفحش فاقلعت الدولة عن الفتح واستبقت الامة ما تحت يدها من البلاد فادخلوا الفساد على الرعية والقادة ليتمموا كيدهم فحسنوا لهم ان يستبدوا بالكلام على ملوكهم وكشفوا لهم الستار فظهرت للامة مغامز تلك الخصال والاخلاق التي زرعتها فيهم يد الاعداء وأروهم كيف يفعلون معهم فمالوا بالشحناء وانقلبوا الى غير المقصود فلما تم لهم ذلك تم ضياع الملك والملة واصبح الكل مغنما للجميع

والغربيون يحفظون هذا ويعتقدون نجاحه وهو من أصح المجربات المحفوظة عندهم فى معاطن الدسائس للاستفراغ منها كلما أرادوا ولا يجهلون ان الدولة التي قامت بالسيف تبقى بالسيف فلما اتصلوا بالمنفرات السياسية الي فسخ العزائم من الاقبال على محبة الوطن لم يبق عليهم الا ان يشقوا العصا ويسعروا نار الشقاق بين الامة لتتقلب القلوب على بعضها وتتغير النفوس على من يواليها ويكون من وراء ذلك ما يكون

وقد كان منهم ما كان من استهواء بعض البسطاء الذين جعلوا ديدنهم الطعن فى الملة وهم منها والسب فى الدولة وهم من عبيدها أولئك الذين يسمون أنفسهم بالاحرار المصلحين ولكن كيف نصدقهم بعد أن صرنا الآن فى وسط تنور الفتنة وظهر لنا الشر من مطلع جرثومة الفساد وأصبح من الغفلة الظاهرة ان تحجب عن ابصارنا هذه المظاهر الشنيعة أو تحول صورتها فى العيون وفعلها في النفوس الي حال آخر يلجئنا الي القول فيها بغير الحق

تأمل الى متين كيدهم وأنصل سهامهم الموجهة الي المقاتل وانظر الي قلبهم كيان الامور واحالة اغراضهم الباطلة الى ألطف صور الحق. أوعزوا الى المسخرين منا دعاة النقابة الاوروباوية فطلبوا من الدولة باديء بدا فتح مجلس المبعوثان يوهمون القوم انهم ما ارادوا بهم الا خيراً طلبوا لهم الالفة والاجتماع والوحدة والاخاء فى الدنيا والآخرة وهم فى الحقيقة لا ينوون غير الفرقة والشرور والاختلال والخلاف والعداوة والبغضاء * يعلمون كما نعلم بل فوق ما نعلم ان الشوري من قواعد الدين الحنيف ولكن ملاحظة حال الزمان والمكان أمر واجب وكذلك مطابقة الحكم للوقت والحال شرط لازم ويفقهون ان الشوري فى أمة ترتبط برابطة الجنس والمذهب فيها جميع الخيرات وافضلها وأجلها واسناها وتبين دون كل خير من طريق الاصلاح وتزيد عليه ثم هي فى ملة تختلف دينا واعتقادا .واشتملت أيضاً على زعانف آخرين بمنزلة السم القاتل للتنافر والخلاف الطبيعي بين فكر وفكر ومصلحة ومصلحة

جننا بليلى وهى جنت بغيرنا * وأخرى بنا مجنونة لا نريدها

انما يلتقي الفتيان هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج والدين لم يأمر بل لم يرض الا بمشورة كبار من المسلمين معروفين كما يدل على ذلك مرجع الضمير فى قوله تعالى وشاورهم فى الامر فقد خرجت به قبائل خيبر وأمثالها من المشورة

وتحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور وليس كل رأي صالح للعمل فى كل آن فان من الآراء ما يلوح على ظاهره الخير وفي طيه البؤس فاذا فتح مجلس المبعوثان وجيء من كل طائفة بمندوب من الملل التي تحت

سيطرة

سيطرة الدولة العلية التي يبلغ مجموعها ثمانية ملايين من كافة الشعوب المسيحية واليهود واستشير في أمور جماعة المسلمين وهو من عملة الدول في تشييد أركان الفساد الذي تهيئه أوروبا للملة الاسلامية ووقع الخلاف المنوي عليه كان هذا المجلس شر ستار تم من ورائه جملة اغراض مضرة بجماعة المسلمين والامر ظاهره الرحمة وباطنه من قبله العذاب وناهيك بالمجرب المعلوم ظاهره وخافيه فاننا لم ننس ان كان شيء ينسى ان هذا المجلس هو الذي قضى على الدولة بمحاربة الروسيا في وقت لا قبل لها به وكان عواقبه ما كان ويريدون الآن ان يجهزوا على بقية حياة الامة تحت ستار طلبات الامة وجماعة تركيا الفتاة التي تزعم ان روح الحرية والذب عن الوطن سرت فيها تؤيد هذه الطلبات وتصيح بملء فيها بضرورة فتحه لتظهر امام أوروبا بمظهر الحمية والاقدام

وترجو ربيعا ان ستأتي صغارها * بخير وقد أعيت ربيعا كبارها

ولئن قال قائل ما الذي يضطركم حتى تدخلوا مندوبين عن تلك الطوائف في مجلسكم هذا مع قلة عددها في بلادكم وعلمكم بانهم خونة وذريعة فساد والتجأتم الي ايقافه وتركتم المنفعة الكبرى التي تنتج منه قلنا اكرهتنا اوروبا على ذلك لان مصلحتها لا تقوم الا به والمظلمة فيه ظاهرة هذه انكلتره احدى دعاة الاصلاح تعد بما يقرب من ٣٣ مليونا من النفوس وتحدث على ما يزيد على ٢٠٠ مليون من النفوس في الهند ليس في مجلس نوابها مندوب هندي ينوب عن أولئك المساكين مع تعداد طوائفهم واجناسهم والمجعول مندوبا هنديا رجل انكليزي يتكلم عن مصالح الهند في انكلترة من تحت هذه التسمية بلسان الانكليز وهذه فرنسا ولها من المستعمرات ما لتلك وفيها ما يقرب من تلك الطوائف وليس في مجلسها واحد من الامم التي تحكمهم

فاوروبا بقوة جامعتها واتحاد كلمتها تعمل على ما فيه ابادة هـذه الملة باى الطرق الممكنة وكانت لا تجهر بنواياها هذه ولـكن من عهد غير بعيد أظهرت الكامن ومزقت الستر وحرمت علينـا ما احلتـه لانفسها وحجتها في ذلك لا تفحم السامع ولا تفوق حد الطاعة ولا هى من معجز الحديث ولـكن كلام يكون من ورائه ما يكون تعذر النفوس اذا اكرهت على قبوله أو أحجمت عن دفعه

أرى العنقاء تكبر أن تصادا * فعاند من تطيق له عنـادا

والمصيبة كل المصيبة انتشار هذه الافـكار ما بين رعايا الدولة فاصبحوا ولهم من أنفسهم عدو وجروا على بلادهم الويل والخراب ولولا أن القائم اطال الله ايام سلطانه

ينام باحدـى مقلتيه ويتقى * باخرى الاعادي فهو يقظان نائم

لتم على الاسلام ماتم

وطالما اتخذت أوروبا الحيل للاخذ على يد السلطان بدعوى الاصلاح وغل يد المأمورين عن ان يفعلوا بل يفكروا في أمر لم يكن لاوروبا فيه أمر ثم يرمون الاتراك بالجهل والخشونة لعدم طاعتهم لتلك النصائح ولـكن الاتراك لا يضرهم تقصيرهم هذا لانهم امتنعوا عنها وهم يعلمون انها احبولة لمـآرب مخصوصة وهذا العيب الذى تعـيرهم به أوروبا ليس بعيب بل هو من تمام الحزم ومعرفة ان السم فى الدسم ومن أراد ان يعير الاتراك فليأتهم ببدعة سيئة احدثوهـا في الدين أوطلب ان يستـجهلهم ففى نزال المعتدين أو يؤتيهم فيخفر ذمة الحافظين للعهد من المعاهدين

عجبا وأى عجب غلب القضاء علينا ليبلونا الله فى أنفسنا رزقنا الله ذلاقة للسان ووضوح الحجة لغيرنا فنلتمس له العـذر فى باطله ونرجحه بالسبب

والعلة

والعلة وحرمناه على انفسنا مع الحق وقيام الشواهد عليه فنعتذر عن فرنسا مثلا من جهة نكوصها عن اخذ الثار من الالمان و نستقل الثلاثين سنة التى مضت على حربها ولو نازعنا زنديق في امر الدولة التركية وعدم اخذها بالثار من الرسيا لنسبنا ذلك الي خذلانها ولا نكاد نحر جوابا

واني لا اذهب بك بعيدا ولا أعدلك من المصائب الا البلايا الغريبة حتى لا أطيل عليك الكلام واليك شيأ من تاريخ القرن الذى نحن فيه ويسيراً من الذي قبله تعلم منه ما جرى

توالى فيه الكثير من الحروب واختلال النظام فى الوظائف المهمة فى حوادث الانكشارية وغيرها ودخول الوظائف أيدي غير أهلها وظهور الفتن المتعددة حتى لو جاز ان أحدا كتب تاريخ الدولة العلية للقرن الثالث عشر لصح أن يسميه تاريخ البلايا والمصائب لان الذى وقع فيه يذهب اللب ويضيع الرشد

## مطلب ما قاسته فى المائة الاخيرة

يجد الباحث فيه تقدم الجنرالين ( سواروف ) و ( رومانزوف ) فى سنة ١١٨٧ هجرية على أراضى الدولة مسارعين فى اجتياز الطونة على غير عدة الدولة ولاضطرارها لتوقيف القتال عقدت معاهدة قينارجة فى ظرف ثمان ساعات وهى المعاهدة التى أباحت شروطها استقلال تاتار القريم واعطاء حرية الملاحة للروسيا فى البحرين الاسود والابيض ومنحت الروسيا بمقتضى البند السابع منها حق حماية الدين النصرانى وكنائسه وهو الميدان الواسع الذى فتحته لبث الدسائس والقاء بذور الشقاق

يجد محاربة دولة ايران التى اقامها عبد الكريم خان عقب هذه الحرب

بايعاز الروسيا نكاية فى الدولة لضعفها اذ ذاك فدخل بجيشه العراق سنة ١١٨٩ ونكبدت الدولة ما تكبدت حتى شكلت حملة مركبة من ٤٠٠٠٠ تحت قيادة سليمان باشا واجلوهم عن البلاد سنة ١١٩٠

٣ يجد فيه استيلاء الروس على القريم فى سنة ١١٩٧ بعلة حماية الدين المسيحى وهروب دولتكراي خان القريم منه

٤ يجد فيه محاربة الدولة لدولتي الروسيا والنمسا فى سنة ١٢٠١ باسباب ولدتها معاهدة قينارجة المتقدم الذكر عنها

٥ يجد حادثة وفاة السلطان سليم سنة ١٢٠٣ والدولة مشتغلة باطفاء نار الحروب في البحر الاسود ومراكب الروسيا تحرض اشقياء الروم على الثورة وتمدهم بالنقود والآلات الحربية بواسطة الشقي المدعو لامبروا

٦ يجد فتنة الشقي صويتري أحد عمال الروسيا الذي انشأت له سبعة عشر سفينة وقام بها فى سنة ١٢٠٧ بجماعات الروم والروس يعبث فى جزائر الارخبيل ويوغر لهم ولليونان بطلب الاستقلال

٧ يجد فيه حملة نابوليون على الاقاليم المصرية أثناء هذه الاضطرابات والارتباكات واجتهاد الصرب واليونان فى الاستقلال وعصيان حكام الاقاليم واتجاه أوروبا لمحو السلطنة العثمانية

وقد نصحت انكلترا للدولة فى هذا الوقت ان تقطع العلائق مع فرنسا وبالفعل حصل ذلك وقبض على السفير وسجن حسب العادة فى قلعة يدي قلة وخربت المخازن الفرنساوية فى اليونان وسوريا واناضول وازمير وبيروت وانتزعت الامنية فيما بين الاهالى والاجانب

٨ يجد فيه تعدي نابوليون على سوريا واحتلال البلاد من العريش لحد عكا

يجد

٩ يجد فيه فتنة محمد عبد الوهاب التميمي بالاراضى الحجازية سنة ١٢٢١ وامتدادها الى اليمن بعد الحروب الهائلة التي حصلت بين الوهابين والشريف غالب بن ساعد أمير مكة وسد طريق الحج

١٠ يجد فيه اطلاق المدافع من المعمارية الانكليزية على اسكندرية واستيلائها عليها

١١ يجد فيه فتنة اليكيخيرية الذين اعتصبوا ضد الاصلاحات الجديدة والنظام العسكري ونهبوا وقتلوا وخلعوا السلطان سليم واقاموا السلطان مصطفي بدله وأوقفوا أعمالا تأخرت بسببها الدولة نحوا من قرن .

١٢ يجد فيه استئناف روسيا الحرب سنة ١٢٢٤

١٣ يجد فيه اتفاق فرنسا والروسيا والنمسا على تقسيم الدولة .

١٤ يجد فيه ثورة تبه دلتلى على باشا التى كادت ان تلاشى القسم الاعظم من تركية أوروبا والثورة اليونانيـة ووقائع موره

١٥ يجد فتنة استئناف على الوهابيه الي سنة ١٢٣٠ وهى السنة التي قبض فيها على الشريف غالب وفتح فيها طريق الحج

١٦ يجد فتنة اليون وتشكيلها حكومة بمساعدة أوروبا

١٧ يجد فيه حريق دونانمه الدولة العلية

١٨ يجد فيه استيلاء الفرنساويين على الجزائر وذهابها صخية جهل وظلم وعتو الداي حسن

١٩ يجد فيه فتنة محمد على باشا والي مصر التى قضت على الدولة العلية باعظم الفظائع وأشد اسباب الدمار

٢٠ يجد فيه خيانة احمد عزت باشا الذي قاد الدونمانه العثمانيه وسلمها الي

محمد علي باشا بلا تعب ولا عناء وتلاشت بسبب حريق الاولي وذهاب هذه جميع قوة الدولة البحرية وقامت أوروبا بهـذا السبب طالبة لغو المعاهدات التجارية

٢١ يجد حروب الروسيين وفتن اليونانيين وثورات اليمنيين والجريديين وما لا ننساه من الاختلال الشـديد المتوالي بعدها وعلى الخصوص ازمان السـلطان عبد العزيز رحمه الله ووقائع الجبل الاسود وثورات الصرب وحوادث المملكتين وثورات كريد والعسير ونجدوالمشا كل الداخلية التي أفضت بخامه

٢٢ يجد فيه حادثة حسن الجركس التى ابادت جملة من اكابر الدولة وأعاظم رجالها على غرة منهم فماتوا ومات معهم ما كان فى صـدورهم مخبأ من بواعث الاصـلاح المقرر فيما بينهم اجراؤه فى داخلية الدولة العلية حتى لقدأحصى أحد المؤرخين المدققين ماحدث من الحروب بين الدول فى هذا القرن من ابتدائه لغاية سنة ١٨٩٦ فظهر منه ان الدولة اكثرهن حربا كما يظهر لك

| | حاربت | سنة | استراحت | سنة |
|---|---|---|---|---|
| الدولة العلية | » | ٤٧ | » | ٤٩ |
| اسبانيا | » | ٣١ | » | ٦٥ |
| فرانسا | » | ٢٧ | » | ٦٩ |
| روسيا | » | ٢٤ | » | ٧٢ |
| انكلترا | » | ١٣ | » | ٨٣ |
| ايطاليا | » | ٢٣ | » | ٧٣ |

النمسا

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| النمسا والمجر | « | ١٧ | « | ٧٩ |
| المانيا | « | ١٣ | « | ٨٣ |
| السويد | « | ١٠ | « | ٨٦ |
| البرتقال | « | ١٢ | « | ٨٤ |
| الدانمارك | « | ٩ | « | ٨٧ |

والمدقق المعتبر يزيد على هذا البيان ما يشاهده بالعيان من الاحوال وما حولها من المشاق وما نقاسيه من الحيرة في معاملة كل من جاورنا من ممالك الدول الاوروباوية الذين يودون ان لا تصبحنا السلامة ولا تمسينا العافية فالسلطان أدامه الله ليس مجددا لمجد الدولة فقط بل موجدا لها فان كل هذه المصائب رسبت قذارتها في هذه الايام وهمت أوروبا بان تفترسنا وتجني ثمرات الشقاق والفساد التي بذرتها من تلك العهود وهو أدامه الله يعالج آثارها بحكمة ويحسم ما يتجدد في ابان سلطانه

ارتقى ادام الله مجده كرسي السلطنة اثر سلطان مخلوع بثورة من الخاصة وآخر لم يحتمل مركز السلطنة لجن وحرب لها أربع سنوات منتشبة في جملة بقاع من الروم ايلي الشرقي بين أمم لو ابتليت باحداها أشد الدول قوة لخانتها الدزيمة فيها وادركها الوهن معها وثوارن في الافكار الحديثة التي اشربت سم الفساد والشقاق من حكماء أوروبا وعلمائها بتدبير فلاسفتهم الذين يستفرخون ميكروب الفساد في معاطن الدسائس ويلقحون منها كل أمة بما يهيج عليها داءها فلم يكد السلطان يلفت الناس لمعني الخلافة الذي أهمل بعد السلطان سليم باوز ويلتفت يمنة ويسرة حتي ابتدرته الثورات

رسالة

المدبرة وبادرته الروسيا بالحرب العوان التي تحمل أثقالها بنفسه لضعف ثقته بالوزارة بسبب فتنة السلطان عبد العزيز وتأكده الخيانة بما حدث فى حرب الروسيا من بعض القواد الماجورين مثل محمد على باشا وغيره وانتهى الامر بعد ذلك الي ما أعلم وتعلم ودخلت العساكر الروسية أراضي الدولة العلية عنوة من الكوّات التي فتحت لها بايدينا فى السنين الطوال ايام تنصل السلطان عبد العزيز من وصاية العقلاء وعزله من لا يحبه من النصحاء ومجاراته من يجاريه على فكره من الدخلاء حتى صافحت الروس اعتاب الاستانة وعقد مؤتمر برلين وقضي فيه ما قضي وفعل العدو فينا ماشاء واحتكم بما اراد واشتهى

هذا الي غير مصيبة الحرب من جهة غراماتها والبلايا المالية الاخري التى نجمت عنها وهي اكثر من ثلاثين مليونا من الجنيهات مثل قيمة أوراق القائمة التي أعدتها الدولة ( والفلوس ) أي العملة النحاس التى ضربت ترويجاً للحال وخسارة الفرق من هبوط أسعار الاوراق العمومية وتكليف الخزينة ما هو لازم تجديده واصلاح فاسده بعد حرب تماثل هذه

كل هذا سر من اسرار الآراء الجديدة التي تحمل الدولة والامة على عمل بغير فحص نتائجه وتكليف الدولة الحرب وهى على غير استعداد لها

أليس من فضل الله تعالى ان يجتمع الشمل بعد هذا الحال ويلم الشعث ويتم لنا ماتم ونصبح على الحال الذي إذ هل أوروبا فى الحرب الاخيرة اليونانية

أقول من فضل الله لان الاعداء لم يتركوا لصاحب عمل عملا ولا وقتا لعمل كما قدمناه اليك وكفى بطامة الارمن المدبرة وثوران الاهالى في بلاد حوران ودروز لبنان فما أحرى هذا بان يكون بيانا لقوله تعالى ( انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ) اللهم لا تكلنا الي انفسنا طرفة عين واغننا عن

كلفة التدبير بما تسبله علينا من نعمائك

هذا هو الزمن الذي برهن فيه السلطان عبد الحميد أمير المؤمنين على مكانته ودهائه وعقله وانه الذى أمكنه اصلاح ما أفسد الدهر بل هو الذى اكد فيه للامم ان الدولة العثمانية أقوي الدول كلها لان جميع الدول تريد تمزيقها وأعاليها تساعدهم على ذلك بقبول الدسائس والفتن والعمل بها وهي مع ذلك باقية في منصة مجدها تستقبل كل بلية بالتؤدة والتأني وتحل كل مشكلة بالروية والتدبير

ان بعض الذي نحن فيه ليقوض اركان أساس اكبر دولة في العالم وليس الذي اباد الأمويين في الشام والعباسيين ببغداد والفاطميين بمصر ثم الامويين بالاندلس بالشيء الذي يذكر فى جانبه

لقد كانت بلاياهم منحصرة في خروجهم على بعض لشؤون مخصوصة أهم ما فيها تفريق مذاهبهم واستبدادهم على بعضهم بالحكم وهذا بعض ماعندنا من فساد داخليتنا

ثم أين تفرق المذاهب في جنس واحد من اختلاف الاديان مع كثرة الاجناس وصعوبة قيادة الامم التى تحت رعاية الدول الآن من قيادة قوم متفقين فى أصول اعتقاداتهم فضلا عن البلايا المنصبه من يد الدول كل واحدة بنوع وكل نوع بكيل ومع هذا فصلابة الطباع وشدتها وثبات الجاش واستعمال الغلظة المأمور بها منع من زعزعة اركان الملك وثبت من سلطانه ومهما ظهر الهياج والقلق من تغاير الملل واختلاف الطباع والنزاع فى المعاملة فان الله معين على تلافيه

كلما أوقدوا الى الحرب نارا * اطفأ الله نارهم حيث تورى

( اقرأ ما كتبه المستر كلايف بجهام محرر جريدة المورن بوست ) الذي رافق الجيش العثماني مدة الحرب اليونانية الاخيرة فى كتابه الذى عنونه بالحرب اليونانية قال فى صحيفة ١٢٢ منه حاكياً عن نتيجة ملحوظاته على الجيش ما ترجمته * ( ان الذى فعلته دولة الاتراك في تعبية الجيوش وتسييرها والزحف بها ونقل المهمات اليها لا يقل عما يفعله أحسن جيش فى أوروبا حتى الجيش الالماني

ثم قال فى موضع آخر صحيفة ١٣٤ مادحا الاتراك انفسهم ان الاتراك هم أهل الحرب والصبر عليها واستخفاف مشاقها والجلد على السير وقلة المؤن والعدد ولا يشغلهم عن عملهم شيء ولا يميلون للدعة والراحة ولا يألفون الخمر فلو انهم يقادون بقائد عظيم ويساسون بملك قادر ويذوقون لذة المساواة والعدل لكانوا أول جيش محارب على البسيطة )

افبعد هذا وقيام القائمين من الملل المغايرة عليك وانكشاف الغطاء لك ينبغي لك ان تضل وتعتقد خلاف ما ترى وتتكلم بخلاف ما تسمع وتظن بكل أوروبا خيرا وهى اكبر عامل ترجع اليه هذه الحركات الموجهة ضد العالم الاسلامي

أين أقلام الكتاب الذين ثلموا شرف الدولة من هذه المطالب الحقة والمقاصد الخيرية * أين هم من الكمال الانسانى الذى يؤدي الانسان للشهادة بالصدق محبة فى العدل ورغبة فى قوله الحق * والله لقد كذبوا وهم القرباء وصدق الاجنبي ماذا فعلوا بكتاباتهم ذهبوا الي عداة الله * اعداء الدولة وأذاعوا عيوبا ابتدعوها كذبا وزوراً وادعوا بعد ذلك انهم من خيرة الامة ومن نصحائها وزعموا إن هذا هو الاصلاح المطلوب من كل فرد فانقلب الامر وانعكس الحال

﴿ مطلب

## ﴿ مطلب عجائب الشرق ﴾

ان الشرق أبو العجب اذ كانت آفة كل بلدة من جهلائها وآفة الشرق من علمائه ولو اننا عددنا المصائب والبلايا التي نزلت على الاسلام فى هذه الايام لا نجدها الا من طائفة الكتاب حتي أصبحت وظيفة الكتابة منحطة فى الشرق لان العقلاء فى جميع البلاد يعجبون لحرية مطلقة لم يضرب بينها وبين الاحساب والاعراض وأقلام السفهاء بسور من الادب ويضحكون على هذا العلم والشعر والادب والحكمة كيف أدي لخلاف ما تؤدي نتائجه فى كل أقطار المعمورة من الفوائد

ولنضرب لك مثلا بشيء مما تشبهنا به « الجرائد » التزموها ماذا فعلوا بها هى فى أوروبا ثالثة المدارس والمجالس في تربية الامم قام أصحابها بما عندهم خير قيام حسب الزمان والمكان فدرجوا مدارج الفلاح حتى أصبحت ولها الرأي الاول فى حال الدول

أبي الله أن تفارقهم فيها الطفرة التى تلقيهم على الدوام في مهاوي الخيال ففاجؤنا بالقول بالفساد دون تحقق جهة ولم ينتظروا بالامور أحيانها واجترؤا بالافتراء على أولياء الامور حتي اعترض منهم عليهم فلم يحتملوا ومالوا الي السباب فلما رأتهم أوروبا انهم خرجوا عن التقيد بالشرائع والقوانين وأوسعوا الناس طعناً وأصبحوا لا يرد منهم صغير لصغره ولا يتقي أحدهم كبيراً لكبره وكان لها فى فوضوية الامة المزية العظيمة استعملتهم فيما تريد فقاتلتنا ببعضنا وكانت هذه الجرائد أقرب باب لوصولها الى ما تشتهي من هدم صروح المجد والعز

## ﴿ مطلب المسخرين ﴾

وجدت أوروبا في الشرق جماعات كما اشتهت يتفننون في مس كرامة الناس ويتطاولون بالسفه الى اكبر المناصب ولهم في ذلك أثر معلوم ومقام معروف كأنهم بقايا أصحاب فتن صفين والجمل والنهروان تمكنت فى خصالهم دواخل النقص والفساد والخلل والعناد والرياء العجيب والاتفاق مع كل أمة غالبة على كل أمة مغلوبة والاقامة مع كل طائفة فائزة تأييداً لرأيها سواء كانت محقة أو مبطلة فهم مع الانكليز في مصر كما كانوا مع الفرنسيس فيها وكذلك هم في تونس والجزائر كما كانوا في أطراف الهند وأقاصي الصين من قبل يحرضون الناس على الاذي ويخرجونهم من دينهم وملتهم وذمتهم وشرفهم وينسونهم حقوق أوطانهم لغرض ينالونه أو دنيا يصيبونها

وأى عدو لا يبلغ بهؤلاء مايريد وقد وصل البعض بأمثالهم للتفرقة بين الصحابة والانبياء فضلا عن الرعية والخلفاء وأشعلوا قلوب رهط النبي صلى الله عليه وسلم التى لا يصل اليها مغمز بالمنازعة التي انقضى الزمان والامة تتوازر على علاجها ولا تعان عليه فلا عجب ان أوغرت صدوراً وأحفظت نفوساً في هذا الوقت بسبب هذا الحال

وجدت أوروبا في أهالى الشرق أقواما لو خرجت فى بلادها تلامذة على أن يقولوا غير الحق ليظهروا حجتها ويعزّوا دولتها ويلزموا الناس بالقول بنصرتها لكان فيهم الوهن والضعف ولما كانوا سراعا الى تسليط بعضهم على بعض بكل شيء يتعلق به الخصم من هؤلاء

وجدت أوروبا فى أهالي الشرق أقواماً نسوا الله فأنساهم أنفسهم اغتفروا لأعدائهم الذلة ولبسوا لهم ثوب الاستكانة واستحسنوا كلما يقبح من

شيمهم وأعانوهم على فجورهم وصدقوا على كذبهم

ليس بعد هذا محل لملامة جلالة السلطان وحده والتمحك فى حكومته بعد الاصلاح بعد ان أصبحت قلوب الامة على ما نعلم من هذه المظاهرة والمحبة لأية دولة من دول أوروبا مع بعد ما بين الملل ديناً وبلداً ومذهباً فانه لو جاز أن يعطي جلالته حظ العدل بمفرده دون رعاياه وقومه لكانت الانبياء أولى منه بذلك

ثم اضطراب الشرق في هذه الايام بسبب هذه الاقوال التى تذاع على ألسنة أهل السوء الذين ذكرناهم يتقاها الخونة أرباب الوظائف الذين عندهم لكل مريد من الاعداء مطلبه وامتدت الايدى لأهله ولبلاده دفعة واحدة وأصبحت أوروبا مع أهله كأصحاب فرعون « سحروا أعين الناس واسترهبوهم » وأصبح العالم الشرقي من شدة هول هذه الصدمات فى سبات حتي نسي الرجل منهم نفسه ونسي ما يعلمه ويتحققه فى نفسه من عمل أو قدرة على عمل وأصبح يجد كل شيء منهم غريبا ويتوهم ان كل فعل جديداً اتجهت للشرق عامة الابصار ترمقه بالانظار المختلفة ومن الناس من يعتقد أن انتهاء مشاكله الحاضرة التي سببتها حال الشره وحب الملك والاستئثار به سيكون محفوفا بالمخاطر ولربما مست بلاياه العالم

امتدت اكاذيب السعاة المسخرة وأغاليط الرواة المدبرة وأضاليل قالة السوء التي لا ينصرف عنها السامع الا بشبهة عظيمة الى حد غير ممكن ملافاته أبداً

ومن الأسف ان أشد حديثهم غلطاً وأكثره مينا وبهتاناً وأحظره بلاء ومغالاة ما أسند لتاريخ الدولة العثمانية وممالكها

أصبح العثمانى في أية بلدة كانت أو فى ذات مقر السلطنة غير مصدق ان له سلطنة أو اماما

وان اعتقد ذلك فقد ضرب اليأس والقنوط بين جوانحه حتى أصبح يحكم من نفسه عليها بالسقوط والتلاشى

اندفع تيار الاكاذيب على الخلق من جهة أوروبا حتى أثبتوا لنا ان القوم همج وانهم فضل من الخلق وعولة على الارض يرزقون كما ترزق البهم السوائم حتى أصبحنا ان سمعنا بمجاراتهم لاي عمل كان عددنا ذلك من قبيل الاستغراب بل العجب العجاب وأنزلناه منزلة النطق من الابكم والنظر من الأكمه

قلنا ان أوروبا تصطفي من كل بلدة جماعات تبلغ بهم غاياتها فمن صفوتها أيضاً فى الشرق طائفة لتجعلهم حويصلات للمرسلين ومسبراً لهم في كل أمر وهم لا يحسنون من الدنيا الاّ رسوماً ألفوها فى السلام والكلام والطعام ونظرهم لا يتعدي مواطئ أقدامهم ماذا تفعل بهم أوروبا تقيم منهم حكاما للبلاد وتوهمهم ان الامر اليهم وتجعل لكل واحد وكيلا له السيطرة عليه باطنا والطاعة ظاهراً وتتم كل ما تريد من غاياتها على يد ذلك الوطنى الذى غره من المنصب اسمه ومن المسند رسمه يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين لا يبعد أن يظن القاريء انى أكتب هذا عن غرض أوعوض لانى أدفع الظنون السيئة عن مقام الخلافة والدولة بما أستطيع

وحاشا لله أن أكون كذلك فان الخلل موجود فى الحكومة العثمانية بلا شك ومن يجحده فهو غاش لنفسه ولمولاه وللمؤمنين ولكنى أنكر أسبابه التي يدعونها وهي عدم التعلق بمدنية أوروبا ولا أعتقد أيضاً بفائدة العلاج

الذي

الذي يدبرونه فى صيدليات مخيلاتهم ٠

يسرنا والله ويسر كل مسلم شعور المسلمين بالخطر الذي يتهددهم من كل جانب فى مشارق الارض ومغاربها ويبهجنا تنبه الافكار في منع أسبابه والسعي فى علاجه ويطربنا سماع تناجي ارواح الحكماء والعقلاء والنبهاء من جميع الاقطار وان يرتفع الحجاب فلا يكون بينها انفصال

ما الطف هذا الزفير يمثل الخطب ويفصح عن الكرب وينبىء بفيض الصدور من عوامل الفساد التى نثرت المنظوم وفرقت المجموع وشقت العصا وفصمت العري وصرفت عزائم الافراد عما يحفظ وجودها وأصبح القوم بسببها فى ذهول نسوا ما يكسب ملتهم شرفا أو يعيد لها مجداً وأوردوا أنفسهم مورد الهلكة وزوال النعمة ونكد العيش وغلوا أنفسهم بسلاسل الجبن وقيود اليأس فوقفوا عن العمل وغلت الايدي فطرحت الامة على فراش الموت فريسة لكل عاد وطعمة لكل طاعم

ان تعديل أخلاق الامم يحتاج لخبرة تامة يحتاج للحكيم الذي له الحظ من الكمال الانسانى ولم يطمس من قلبه موضع الالهام الالهى فيتجرأ على القيام بما يسمونه تربية الامم واصلاح ما فسد منها وهو لا يحس من نفسه بأدني قصور فى اداء هـذا الامر العظيم لا علماً ولا عملاً ولا يكون من محبي الفخفخة الباطلة وطلاب العيش الزائل فى ظل وظائف ليسوا من حقوقها فى شيء فيستوعب شأنها ودواعي اختلالها ويكشف وجه العلة فيه ونوعها ويدرس ما يكتنف حياتها من عاداتها ويختبر ما بين أفرادها من المذاهب والاعتقادات ويستقري حوادثها المتتابعة على اختلاف المواقع والقرون

ويعلم السبب الصحيح لمكانتها الاولي من الرفعة والفخامة والعلة لمصيرها لما هي فيه من الضعة والذلة وتدرجها بين المنزلتين فان أصاب المرمى فقد وفقه الله بعنايته الازلية لما أراد والا فقد تحوّل الدواء داء والوجود فناء

غشت الناس وفرة المجامع التي تصيدوا لها أناسا بمعرفتهم وغشهم كثرة المنتسبين للأدب فظنوا انهم من أرباب الرأى فى عالم الحياة الدنيا مع ان هذه المجامع والآداب التى فيها ساقطة لانها لم تصل لاقل من الدرجة المطلوبة واكثر ما يدور فيها من المباحث أمور مجتها المسامع وتكررت على كل لسان بخلاف لفظيّ فلذلك لا تصادف التأثير المطلوب سيما وان المصادر ليست على مايرام اذ لا مادة لخطيبهم فى خطبته ولا لاديبهم فى أدبه حتي تحلى على عقولهم فيؤثروا على السامعين ولاهم ذووسلك حسن يتحاشى بسببه المقتدون من انتهاك حرمة الادب أمامهم ولاهم ذووهمة عالية تتغلب على المصاعب فيلجأ اليها مستغيث ويستظل بظلها محروم ولاهم من بيوت مجد ولا من سلالة شرف حتي تنخدع لهم النفوس وتهابهم العيون

أثبتوا للناس تلوّنهم فى أحوالهم وكونهم على حدّ قول القائل

انى أبو الالوان في حبه * فأعشق اليوم وأسلو غداً

وانهم لا يريدون بعملهم هذا الا عرض الحياة الدنيا ثم لهم فى محافلهم ومواطن مذا كراتهم كلمات لم يحلم بها الغرب مع فرط ارتقائه وسمو مداركه أهله وغزارة مادة العلم عند أممه

## حزب الاصلاح

ما الذي يطلبه حزب الاصلاح وينادي بتأييده هؤلاء المغرورون يطلب

كل

كل ما طلبته أوروبا وبالاخص انكلتره والروسيا ولم يرض به السلطان فشيء تطلبه الدول ولا تناله وسلطان يعادى الدول في الاصلاح ولا يفعله ألم يكن لهذا الامر من معنى غير ظاهره وحقيقة فوق التي نسمعها عنه ومقصد دون الذى يقصده المصلحون المبلغون له والا فالسلطان أكبر من ان يجهل مقدار عداوته لاوروبا ومخالفته هو لفكرها بالمرة أو يظن ان هذا بالهين عليه

ما الذي تريده الاول منها تطلب ان تتحرك الامة لاصلاح نفسها فتطلب الحرية والقانون. تطلب فتح مجلس المبعوثان. تطلب حرية الجرائد. تطلب تداخل أوروبا في نظام مالية الدولة . تطلب تحديد وظيفة الخلافة في العقوبات • تطلب الوزراء المسؤلين. وكل مطلب من هذه المطالب كامن تحته اراقم سود اذا تحركت فما للديغها شفاء

كيف يقبل السلطان هذا وهو شيء لا يسلمه عقل عاقل فان فيه خروجا عن الملك وعن الدين وعن الدنيا وكانما السلطان نسى مصر وتواريخ حوادثها اليس الذى يجرى اليوم على السنة دعاة الاصلاح في الاستانة هو الذى كانوا يبادرون به ولاة مصر وغيرها من ممالك الشرق وولاياتها من النصيحة ويهدونهم للطريق المستقيم

ثم انقلب الامر الي ما نراه ونسمعه من الاهانة والازدراء والتحكم وسوء الفعل وقلة الانصاف والدل والاستئثار بالنفس والتفنن فى طرق النهى والامر. كفى بالمتكلم على طرق الاطلاق سعة في مكان القول فقد ظهر انه عاجز عن ستر موارده وعوراته المشكوفة

كفي انحراف الكثيرين من اللذين يستقبلون البلاد وتستقبلهم عن عوائد اهليهم وعن دينهم وتمزيقهم ستار المعتقدات حتي أصبحوا في حالة

لا يمكن ان تصح النسبة بهم فيه وبين أى دين أو أي جنس

قلنا انه يجب على المتكلم فى الاصلاح ان يعلم وجوه الفساد ومثارات ظهوره فى الامة التي يبحث فى اصلاحها

ونحن لا ندعى العلم بوجوه المفاسد والاصلاح فى الدولة ولكن نستقي ما نقول من تواريخ مضت وبالاخص من تاريخ المرحوم جودت باشا الذى هو ممن انتخبتهم الامة وامضي صدرا فى خدمة الدولة وقضي نفيس العمر فى حفظ الاحكام وصفة تطبيقها وبلغ سن الجلالة وعمر المهابة ورصد لنفسه أجمل هيئة وأحسن سمت واكمل وقار وترك لنا بتاريخه بقية تدلنا على آثار يديه وفكره وهذا التاريخ يعتبر التاريخ الرسمى للدولة العلية وقد أصبح منتشرا فى جميع البلاد العثمانية وهو من الكتب التى اهداها مولانا السلطان عبد الحميد خان لمكتبة المدرسة الحميدية لتدريسه فيها وهو دليل على صحة حب السلطان للاصلاح وحجة علي بطلان دعوى من يزعم ان مولانا يكره دراسة أحوال الدولة العلية ومعرفة الخلل الذى طرأ عليها

## ﴿ الخلل واسبابه ﴾

ذكر المرحوم جودت باشا رحمه الله فى الفصل الخامس من الجزء الاول من تاريخه أخبار الخلل الذى طرأ على قوانين الدولة العلية فرماها بالضعف وبين أسباب ذلك وهذه

تولدت جراثيم الضعف فى الدولة العلية العثمانية فى عهد السلطان سليمان القانونى ( رحمة الله تعالي عليه ) الذى بلغت الدولة في عهده أعلى مراقي القوة والعزة (وكما تولدت جراثيم الضعف فى الخلافة العباسية في عهد أعظم خليفة

عباسي

عباسي وهو المامون

ومن مائتى سنة الي الآن يظهر الضعف فى الدولة شيأ فشيأ وهذه حقيقة لا تنكر

اعترف بها السلطان عبدالمجيد عليه الرحمة والرضوان واجتهد فى الاصلاح كما يدل على ذلك الخط الشهير (بخط كلخانه) اعترف بها مولانا السلطان عبد الحميد ايده الله فى النطق الذى القاه علي مجلس المبعوثان عند تأسيسه صدمت الدولة العلية فى هذين القرنين الصدمات الشديدة التى فصلنا بعضها اليك وما كان لدولة ان تقوى على احتمالها وهى نهاية فى قوتها فكيف بها وجميع الدول الاوروباوية خصيماتها يتربصن بها الدوائر ويعاملنها بالمكر والخداع والمخاتله ورعاياها مؤلفة من ملل واجناس لا توجد فى مملكة من ممالك الارض وهم بتواصل الدسائس فيهم وقبولهم اياها لاستيلاء الجهل عليهم اصبحوا ألاعيب فى يد المغررين يحركونهم متى شاوا والسلطان يقود أصعب مراسين السياسة فى العالم ويوفق بين جهل وفقر فى الرعية وضعف وفساد في الدولة واعداء أقوياء فى الخارج ان هذا لمن أصعب ما سمع به الناس ونظره الراؤن

وقد فصل جودت باشا في تاريخه الخلل بعلله واسبابه وهو تاريخ يستقي من دفاتر الحكومة وأوراقها الرسمية

فقال ان مبدأ الخلل نشأ من دخول المناصب الملكية والعسكرية فى يد غير أهلها ممن سماهم وتبع ذلك تعيين الشبان الاغرار الجهلاء فاقدى التربية الذين اغتروا باقبال السلاطين عليهم فاعرضوا عن استشارة العقلاء والذين استنكفوا عن ان يستفيدوا من العارفين بالاحوال . والذين ما كانوا يراعون القوانين بل

يسيرون بحسب أهوائهم

وكذلك الشان فى امراء الالوية وامراء الامارات الذين يسمون اليوم متصرفين وولاة واصحاب التيمار والزغام. حالة الترف والاسراف والتبذير والانغماس في النعيم الذي اباد الامم من قبل ظهور الحضارة التى نشأت عن هذا الحال وادت الي فقد خصال غريبة وحدوث اضطرابات داخلية لميل الكثير ممن الفوا تلك الاداب الي تفريق القوة الجامعة وانقطعت الصلة بين كثير من ملوك الاسلام كايران والهند وبخارى والغرب الاقصى واصبحت هذه الخصومات قائمة مقام الحدود الحاجزة فتيسر لاوروبا ما ارادته من احداث الشقاق بين المسلمين والتفريق بين طوائفهم وتم لها بالحيلة ما لم يتم بالحرب والقوة

هذا مع فقد التربية والتعليم ووقوف حركة العلوم والمعارف بعد تمام ترقيتها في عهد ان لا وجود لها فى أوروبا كما تشهد بذلك المبانى الموجودة لمدارس الطب والرياضة والحكمة فى عهد سليمان الى الآن

وعدم حفظ حرمة العلماء أو عدم حفظ العلماء حرمتهم فاضاعوها واضاعوا حرمة الدين مع انهم كانوا بمنزلة ان لو قال أحدهم هذا حكم الله خضعت له رقبة من بيده الرقاب. تولية المناصب العلمية لغير أهلها بلا امتحان بحيث صار لهم منصب التدريس وهم احداث فكانوا ينالون رتبة (المولوية) وهي وظيفة لا يفضلها فى وظائف القضاء الا (قاضى عسكر) وما طرّ شاربه ولا خط عذاره

الا ترى بعد هذا ان السلطان قد حمل على عاتقه وهو قليل بنفسه حملا لا تستطيعه أمة بمجموعها حتى ان أحد الاميركيين ألف رسالة في مناقبه موضوعها (هل ينهض باعباء أمة عظيمة رجل واحد) وكتب غيره من

الالمان

الالمان كتابا اتي فيه بالعجب العجاب فهل من العدل ان يتحمل تبعة ذلك على جانبه أدامه الله وقد مضى على هذا الخلل قرون وسنون أين نصيب الامراء والوزراء من هذا الاغفال الذي جر الى ضياع الملك والمملكة

اليس الكل من آلات دولاب الدولة الذي تديره أمرآ الحكومة . ان من سوء حظ المسلمين ان فساد الخلفاء والامراء فى دولة المسلمين يتبعه فى الغالب فساد العلماء الذين يرجى منهم فى حالة الاعوجاج والخلل والعلل تقويم المعوج واصلاح الخلل ومداواة العلل وبدلا عن ان يظهروا مظهر النصيحة يساعدون اولئك الامراء باسم الدين على كل امر حتى انه لا يروج فى سوق العلوم الا مايروج في سوق الخلافة ولولا ان الحال كذلك لهمت طائفة بتنفيذ نصائح النصحاء والعمل بما انزل الله ولم الشعث المتفرق وقطع دابر التشيع الذي شق عصا الجماعة ورمى المسلمين بالانقام

أدام الله سياسة السلطان عبد الحميد فانها أدهشت أوروبا خصوصا في الشؤون الخارجية التي قاومها بشخصه الكريم وهو لا يألو من الاشتغال مع ذلك باصلاح داخلية المملكة وهذا كتاب ألفه رجل أجنبي أميركانى سماه ( قليل من الحقائق عن تركيا في عهد السلطان ) نأتى منه على رؤس المسائل التى جعلها مقصده من التأليف لينظر المتأمل مقدار ما تم على المملكة من الخير في أيامه ولكن الذى يذهب بهاء هذه الاعمال والاصطلاحات والاعمال الجديدة قالة السوء والفجور من كل طرف الذين فسدت تربيتهم وأولعوا بقول الزور والبهتان ولا حظ لهم الا التناوش من جميع الاطراف والاكناف وستر الحسنة واذاعة السيئة

﴿ قال المؤلف بعد الكلام على تاريخ الدولة وسلطانها ﴾

ان مجرد التأمل لعدد السكك الحديدية التى أنشئت من بعد الاتفاق المبرم فى ١٢ مارس سنة ١٨٧٢ أو التى على أهبة الانشاء والامتيازات الممنوحة من أجل مد ما سيتم مدّه بعد الآن يكفي في الدلالة على عظم مايدين جلالته المملكة العثمانية ويمنحها من الفضل والعناية

وكل انسان يذهب من باريس الى الاستانة في أربعة أيام مديون فى شكر هذه النعمة اليه لانه هو ألح على عقد المؤتمر الرباعي لاتصال سكك الحديد في الروملي بسكك حديد أوروبا المركزية

« سكك ممنوح مدها من سنة ١٨٧٢ »

| كيلو متر | |
|---|---|
| ٥٦٢ | خط من القسطنطينية الى قيلبويلي |
| ١٤٨ | من أوروبا نوبيل الى ريدي اغاج |
| ٣٦٤ | من سالونيك الي ميتر وفيتزا |
| ١٠٦ | بنبولى الى ينزنوفا |
| ١١٨٠ | |

« خطوط فى آسيا »

| | |
|---|---|
| ٠٠٩٤ | خط من حيدر باشا لا زمير |
| ٠٥٠٧ | من أزمير الي آيدين |
| ٩٠ | من أزمير الي قصبه |
| ١٨٧١ | |

« خطوط

« خطوط منحت امتيازاتها فى الخمس سنين الاخيرة »

٠٣١٢ خط بين ازمير وانقره فى ٢٤ سبتمبر سنة و٦ اكتوبر سنة ١٨٨٨
٠٠٥٠ خط مابين يافا والمقدس ٦ اكتوبر سنة ١٨٨٨
٠٢٦٠ خط بين سالونيك ومناستير ٢٧ اكتوبر سنة ٩٠
٠٠٢٦ خط ما بين موادينا وبورصه فى ٢٢ فبراير سنة ٩١
٠٥٠٠ خط ما بين باندرمه وقونيه فى ٢٨ فبراير سنة ٩١
٠١٣٢ خط ما بين بيروت ودمشق وحوران فى ١٣ يونيه سنة ٩١

٢٩٥١

كيلومتر

٢٩٥١

٠٢١٩ خط بين عكا ودمشق في ٢٨ اكتوبر سنة ٩١
٠٣٠٠ خط بين ديدي اغاج وسالونيك ابتديء فيه فى ١٤ يوليه سنة ٩٣
٠٢٨٨ خط بين اسكي شهر وقونيه بدىء فيه من ٣١ أغسطس سنة ٩٣
٠٢٥٦ خط بين انقره والقيصريه فى ١٣ فبراير سنة ٩٣
٠١٥٥ خط بين الاه شهره وقره حصار ٤ فبراير سنة ٩٣
٠٣٨٠ خط بين دمشق وبره جك فى ٣١ مايو سنة ١٨٩٣

٤٥٤٩

١٨٧١ خطوط باتفاق من سنة ٧٢ المذكورة

٦٤٢٠

وقد أنتجت هذه الخطوط في نفس ايرادات الحكومة الغير المقررة كالمكوس وغيرها ١١٤٠٠٠ جنيه في سنة ١٨٩٢ فى لوائي كوتاهيه وارطغرل

وازدادت الزراعة وارتقت بسبب تحسن أحوال البلاد ووفدت مهاجرو البوسنه والهرسك وتساليا وولايات البلقان الذين ندموا على ما أصابهم من خروجهم من تحت يد الدولة العلية

## ﴿ المواني والمرافى ﴾

منحت الدولة لكثير من الشركات في سنة ١٨٩١ انشا مرافى وقد ربحت الدولة من مينا ازمير الفوائد الجمة والمزايا العظيمة التى تستمدها الاستانة بالخصوص وجميع بلاد الدولة على وجه العموم وسيقترن بذلك انشاء مرابط ومبانى ومخازن للتجارة وتشكيل ماية وثلاثة وعشرين مجلساً فى ولايات المملكة والويتها واقضيتها لغاية شهر أغسطس سنة ١٨٩١ فروعا لمجلس التجارة الذي انشأ في الاستانة سنة ١٨٨٤ والمتحف التجاري الذي انشىء فى ٣٠ ديسمبر سنة ١٨٩٠ ملحقا بهذه المجالس أيضاً بجميع أصنافها من الحاصلات الزراعية ويعطى المعلومات اللازمة عنها

## ﴿ المعامل ﴾

معمل الملابس العسكرية المسمي ( فاس خانه ) أي معمل الطربوش

معمل مدافع متراليوز ونورد انفليد

معمل ادارة الدخان المؤسس فى سنة ١٨٨٤ فيه ١٥٠٠ عامل وقيمة حاصله ثلاثة ملايين جنيه وكسور

معمل السمونتو

معمل النزل الموجود في يدى قله

معمل الانسجه فى ارسه فى جوار ازميد الذي برهن فى تقدمه السريع بحسن الانسجه

الانسجه الذي نالت شكر العموم

معامل دود القز الـتى أدركـ صبابتها فاحياهالـكها ونجاهـا من الوباء الذى اصابها ومعامل الغاز

وشركة الغاز في يدي قله المؤسسه سنة ١٨٩١

محطات السكك الحديد وأهمها محطة سركجي المفتتحه سنة ٩١

معمل الزجاج ومعامل الثلج على ضفاف البوسفور

﴿ المنارة واللوازم ﴾

بساتين يلدز وبيرا واستانبول واسكدار

بساتين الحيوانات

تنظيم الماء فى بيرا بعـد انشا شركة مياه دركوس وترس ( أي ميـاه دركوس ) بقنواتها وانابيبها على أحسن طرز يكون

خط الترامواي من غلطه الي ششلي وترتب عليه زيادة قيم الامـلاك بجهة بيرا بسببه زيادة لم تكن فى الحسبان

عمل مستودع كبير فى اسكدار للغاز يسع ٣٠٠٠ متر مكعب لانارتهـا وانارة مدينةقاضي كوى المسماة قديما ساليسدون

المشروعات الجديدة فى سالونيك وبيروت من انشا مرافئ وشركات للماء والغاز والترسخانه البحريه ذات الموقع العجيب فى ازميد ومنجم الفحم الحجرى هرقليا الذي ترك العمل فيه

معادن النحاس والرصاص الذهبي والفضى فى بلغار داغ

معادن الغاز فى ولايات يانيه

كل هذا في يد الشركات الوطنية لاستقلال المعادن الغزيرة الفوائد

وانشئت خنادق وطرق مرصوفة بالحصا على طول سهرى بيانا ودرمين في البانيا

## ﴿ ترقى الاستانه التجارى ﴾

ذكر المؤلف هنا بالتفصيل عملا أحدث في مستقبل التجارة فى الاستانة تأثيراً عظيما وهو من مبتكرات فكر جلالة مولانا السلطان ليس لاحد فيه ادنى فضل

وهو تنظيم مجرى نهر الفرات الذي كانت نفقاته من خزينة جلالته الخاصة .

الغرض انشا طريقين للسفن التجارية احداهما على نهر الدجلة وشط العرب بين الموصل فى آسيا الصغرى وبغداد والبصرة

وثانيهما على نهر الفرات وشط العرب بين مسكينة والبصرة ولا يخفى ما هناك من الصعوبة فى تسيير البواخر بين مسكينة والبصرة بطريقة منتظمة لانه يجف فى هذا النهر نحواً منماية وخمسين كيلو مترا لانسحاب المياه منه في قنال هندسية ولذلك وضع نحو من ثلاثين الف متر مكعب من الصخر والاحجار بصفة سدود ورؤس فانتظم سير المياه وأمنت بلاد الله من الشرق والغرق والمتأمل فى هذا العمل يجد ان حالة الملاحة فى هذين النهرين تحاكى مكانة قنال السويس من جهة فتح الطرق بين الغرب والشرق الاقصى

البنك الوطنى الزراعى الذى خلص الفلاح التركى فعلا من مخالب المرابين المؤسس في سنة ١٨٨٣ بقرض $\frac{١٠٠}{٦}$ من أقل مبلغ ممكن الى ١٥٠ جنيها لمدة من ٣ سنين الي ١٠ سنين ويقبل الودائع ويدفع عنها $\frac{١٠٠}{٤}$ وهو كثير الفروع في جميع الولايات وقد أحصيت فروعه لحد الآن فوجدت ٩٥ فرعا و٣٢٨ توكيلا في انحاء المملكة العثمانية والذي يريد تفصيلا اكثر من هذا فليقرأ

المعاملة

المعاملة التي نشرت في جرنال مجلس التجارة في الاستانة بتاريخ ١٧ابريل سنة ٩٤ في هذا الموضوع

وانا نقتطف لك منها ما ينفق الآن في سبيل تحسن الزراعة الوطنية بواسطة هذا البنك

| صـ | | |
|---|---|---|
| ١٣ | ٣٤٦٠٩٣ | على المدرسة الزراعية في خانقان |
| ٣٢ | ٤٦٠٥٨٨ | سالونيك |
| ٣٩ | ٢٩١١١٨ | بروسه |
| ٠٠ | ٠٢١١٨٤ | على نموذج مزروعة في انقره |
| ٠٠ | ٠٣٢٥٦٠ | على مثله ادنه |
| ٢٧ | ٠٠٩٣٧٦ | ارضروم |
| ٢٥ | ٠٧١٣٥٤ | حلب |
| ١٥ | ٠٢٧١٣٢ | سيواس |
| ١٠ | ٠٤٠٩٥١ | في دمشق |
| ٣٠ | ٢٥٢٢٩٢ | قونيه |
| ١٤ | ١٣٠٩١٩ | على تعليم ١٤ تلميذا علم الزراعة في فرانسا |
| ٠٠ | ٠٧٢٧٩٤ | على شراء بذور من أوروبا وأميركا لتوزيعها على الفلاحين |
| ٠٠ | ٠٠٢٢٥٠ | الف ترمو متر لتوزيعها على المشتغلين بدودة الحرير |
| ٠٠ | ٠٠٣٣٢٥ | دفعه مجلس الادارة لابادة العاهات |

ويتبع كلا من هذه المدارس مزرعة اتخذت مثالا ونموذجا للتعليم العملي والتعليم النظري

## ﴿ الغابات والآجام ﴾

ان العناية لجلالة السلطان عبد الحميد في اتقان الانابات والآجام جعل تركيا لا تحسد غيرها من الامم في هذا الفرع

تشغل الآجام والغابات في تركيا مسطحا ١٥٩٥٥١٩٢ دونما وهو قريب من فدلان اعنى جزءا من ٢٤ من ارض المملكه ولا يدخل في هذا الجزء الا الولايات الواقعة فى القسم الاوروبى من تركيا والاناضول والقسم الملاصق لتركية أوروبا من تركية آسيا

وتتألف هذه الآجام من ١٥ نوعا من الشجر الذي هو من انفع الانواع في الصناعة منها البلوط . والشاه بلوط . والجوز والحور . والصنوبر . والزيتون وستصل المملكة العثمانية الى حد ان تعرض هذه الاخشاب على أسواق أوروبا وهذه الفائدة المالية من الثروة الطبيعية كانت في اهمال وكساد الي عهد جلالة السلطان . وقد الحق بهذا البيان جدولا يتضح بالمقارنة بين ايرادات المعادن والآجام فى السنين الاخيرة زيادة ٤٧ فى المائة وهى عبارة عن ١١٦٠٠٠ جنيه انكليزي منها ٤٧٤٥٩ جنيه من واردات الآجام و ٩٦٠٠٠ جنيه من الرسوم المضروبة على المعادن التي تشتغلها الحكومة وهذه النتيجة أحسن مدح واوفى شكر لمؤسس هذه الخيرات وهو جلالة السلطان .

## ﴿ البنك العقارى ﴾

وهو يقرض نقودا على رهون عقارية وقد تحدد رأس ماله الآن بمبلغ ١٠٠٠٠٠٠ جنيه مجيدي وسيزيد رأس هذا المال بالتدريج بحسب مقتضيات الضرورة

الضرورة الي ٢٠٠٠٠٠٠ جنيه مجيدى

هذا الي غير ما هنالك من النظام العسكرى الذي أصبح لا ينكر استعداده الا اعمى . وترقي المدارس والعلوم وسلوك سبل المدنية القويمة التي من أهم اركانها المحافظة على الدين

حتى أصبحت هذه الاعمال العزيزة تبشرنا ان العناية الالهية آخذة بناصرنا وان وراء هذا الطل والبلا عاما من نشاط الافكار ونجاح الحال ان شاء الله تعالى

## ﴿ دين تركيا ﴾

جرت بين تركيا ودائنيها مخابرات على خطة من الصدق ارتاحت اليها انفس هؤلاء فاحلوها محلها من القبول وسارت على نمط من الحذق عجيب يشا كل المعجزة خواصها فافضت الي حل مسألة الدين في ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٨١ كان كل الدين قد بلغ فى ذلك الوقت ٢٥٤٢٩٢٠٠٠ جنيه انكليزي لان القروض التي حصلت فى عهد السلاطين السالفة من سنة ١٨٥٨ الي سنة ١٨٧٥ وفي ضمنها قرض السهام التركية ذات الفائض وهو رأس مال ايراده السنوي ١٤٠٠٠ فرنك عن كل كيلو متر من السكك الحديدية التي تنشأ فى تركيا تضمنه سكة حديد الروملي كل هذه القروض مجموعها يبلغ ٣١٨٤٣٦٥٤٠ جنيها انكليزيا وكان الذي دفع من هذا المبلغ الى وقت تأخر تركيا عن دفع اقساط الدين ( الكوبون ) هو ٢٥٩٤٧٨٢٥ جنيها انكليزيا فنقص بذلك الدين الى ١٩٢٤٨٨٦٢٥ جنيها انكليزيا لكن بسبب زيادة مبلغ ٦١٨٠٣٩١٥ جنيها وهو متاخرات الفوائد المستحقة من شهر سنة ١٨٧٥ قد

وصل مجموع الدين العمومى في ٢٠ دسمبر سنة ١٨٨١ الى المبلغ السالف ذكره أى ٢٥٤٢٩٢٠٠٠ جنيه

يجب ان يضاف الى هذا المبلغ هذه المبالغ الاخرى وهى

أولا مبلغ ٨٥٩٠٠٠٠ جنيه مجيدي وهو مجموع مبالغ اقترضت من مصارف غلطة قبل حلول سنة ١٨٨٠ سداحاجات الخزينة وذلك الفرع من الدين قد تنازلت بسببه حكومة تركيا لدائنيها بمقتضي الاتفاق المبرم في ٢٢ نوفمبر عن ايرادات الملح والتبغ والمشروبات الروحية وطوابع البوستة والحرير والاسماك

ثانيا الغرامة الحربية المستحقة للروسيا بمقتضي معاهدة الصلح وهى تقرب من مبلغ ٨٠٢٥٠٠٠٠٠ فرنك

ثالثا التعويض المستحق للتجار الروسيين بسبب خسائر الحرب من سنة ١٧٧٨ الى سنة ١٨٧٨

لم يكن الغرض من الاتفاق المبرم فى ٢٠ دسمبر سنة ١٨٨١ التعرض لما كان يتوقع ان يكون لروسيا قبل تركيا من المطالب فان معاهدة برلين قد كفت المتفقين مؤنة البحث فى ذلك اذ نص فيها صريحا على ان هذه المطالب يقوم بادائها حاملو السندات التركية وانما كان القصد من الاتفاق المذكور حينئذ مجرد البحث فى مسألة الدين العمومى

بني هذا الاتفاق على أمرين احدهما الحقيقة وهو مجموع القروض التى حصلت فى سنين ١٨٥٨ و١٨٦٠ و١٨٦٢ و١٨٦٣ و١٨٦٥ و١٨٦٧ و١٨٧٢ و١٨٧٥ والثاني الاسهم التركية وقسم الدين الحقيقى هكذا

أولا مبلغ ١٧٦٧٥٦٥١ جنيهات انكليزية وهو مجموع القروض الثمانية المذكورة

المذكورة استنزل منها مبلغ ١٨٩٣٢٠٦٠ جنيها انكليزيا هو مجموع تسديدات (استهلاكات) مختلفة حصلت الى وقت كف تركيا عن دفع اقساط الدين واستنزل منه بعد ذلك أيضاً مبلغ ٨٦٦٨٤٥٠ جنيها انكليزيا كان اذ ذاك في الخزينة فانحط بذلك راس المال المقترض الى ١٥٩١٥٦٠٠٠ جنيه انكليزي

ثانيا مبلغ ١٨٢٩٦٧٥ اصدرت به سندات وقتية تدعي سندات رمضان بمقتضى ارادة سنية صدرت فى ٦ اكتوبر سنة ١٨٧٥ الموافق ٦ رمضان سنة ١٢٩٢ من أجل سداد المبلغ المستحق فى ستمبر سنة ١٨٧٥ وهذه السندات تعطى لحاملها الحق في نصف الربح ونصف المبلغ المستهلك من من الدين بسببها

هذا المجموع العام وهو مبلغ ١٦٠٩٨٥٦٨٨ جنيها انكليزيا قد نقص الى مبلغ ٩٢٢٢٥٨٢٧ جنيها انكليزيا ومنشأ هذا النقص حط الدائنين لتركيا من راس المال الاصلى ٧١و٤٢ في المماية وهذا المبلغ كان يعطي فائدة سنوية قدرها واحد فى المماية وكان فى حالة من شأنه فيها ان يزيد ربحه تدريجا تبعاً للظروف الى ٤ في الماية

اما الاسهم التركية فقد جزئت ١٩٨٠٠٠٠ سهم قيمة كل منها ٤٠٠ فرنك وربحه السنوى ٣ في الماية تسدد (تستهلك) في ١٠٤ سنين بست سحبات سخرية تحصل في أول فبراير وابريل ويونيه وأغسطس واكتوبر وديسمبر من كل سنة والذى استهلك منها حتى أول اكتوبر سنة ١٨٧٥ هو ١١٠٠٠ سهم من ذات الاربعمائة فرنك أى ٤٤٠٠٠٠٠ أو ١٧٧٦٠٠ جنيه انكليزي وبقى منها في ايدى حامليها ما قيمته ٣١٥١٢٤٠٠ جنيه انكليزى وقد نقصت قيمة كل سهم من هذه السهام بمقتضى اتفاق ٢٠ دسمبر سنة ١٨٨١ ٩٠و٤٥

في المائة فصار ثمن السهم على صورته الجديدة ١٨٠ فرنكا و٣٦ سنتيما وحدد راس مال السهام التركية الجديدة بمبلغ ١٤٢١١٤٠٦ جنيهات انكليزية

بلغ عدد السندات التركية ذات الفائض التى اصدرت فى خلال المدة الفاصلة بين الامرين العاليين الصادرين في اكتوبر ودسمبر سنة ١٨٧٥ وجعل استهلاكها في هذه المدة ١٥٣٥ سهما وهى راس مال اسمى قدره ٢٨١٨٠٠٠٠ فرنك وقد جعلت تركيا لنفسها فى هذه السهام الحق فى حطيطة ٢٥ فى المائة من الدفعة السنوية المضافة الى السهام التركية من عهد رجوعها الى دفع الاقساط والمضافة أيضا مبلغ العشرين فى المائة من قيم السهام ذات الفائض المستهلكة . كفت تركيا عن دفع فائدة السهام ولم يكن عليها ان تعود الى الدفع حتي يتوفر لديها مبلغ يزيد عن اللازم لسد طلبات أصحاب السندات ذات الفائض فاذا توفر هذا المبلغ تكون الفائدة مستحقة الدفع هي وقيم السندات المسحوبة

ولما نقص الدين بهذه الطريقة قد خصصت الحكومة التركية لمصلحته جملة ايرادات تنازلت عنها لدائنيها حتى يتولوا ادارتها بانفسهم وهذه الايرادات هي الانواع الستة من الاموال غير المقررة أو عوائد الملح والتبغ والمشروبات الروحية وطوابع البوسته والحرير والاسماك التي يردها أصحاب مصارف (بنوك) غلطه بعد تحصيلها الى حاملى السندات العثمانية

(ب) زيادة رسوم الجمرك التي تنشأ من تغيير تعريفة الرسوم عند حصول تنقيح في اللوائح التجارية فتستفيد ادارة الدين العثماني من هذه الزيادة

(ت) زيادة الايرادات التي تنشأ من تعميم تطبيق القانون الخاص بالامتيازات عند مقارنتها بالايرادات التي كانت تحصل فيما سبق من رسوم التمتع

(ث)

(ث) الجزية التي تدفعها امارة البلغار الى الوقت الذى حددتها فيه الدول الموقعة على معاهدة برلين بمبلغ ١٠٠٠٠٠ جنيه مجيدي يدفع مسانهة من رسوم التبغ

اما ان رأي الباب العالى بعد تقرير الجزية أو الضريبة بهذه الصفة ان من صالحه استعمالها كلها أو استعمال جزء منها فى سبيل آخر وجب عليه ان يعوض هذا المبلغ الذي يكون بهذه الواسطة قد سحبه من حاملي السندات بمبلغ مساو لعوائد التبغ وفي حالة عدم كفاية هذا المورد يؤخذ المبلغ من مورد آخر واف به

(ج) الزيادة فى ايرادات جزيرة قبرص وتعوض في الحالة التى تخرج فيها هذه الجزيرة من قبضة الحكومة العثمانية بمبلغ سنوي قدره ١٢٠٠٠٠ جنيه مجيدي يستنزل من عوائد التبغ بعد احتساب مبلغ ١٠٠٠٠٠ جنيه الذي استبدلت به جزية البلغار فاذا لم تكف هذه الزيادة لتكملة مبلغ ١٢٠٠٠٠ جنيه كان على مصلحة عموم الجمارك ان تعطي بالباقى سفاتج فى كل سنة

(ح) دين الروملى الشرقي الذي حدد بمبلغ ٢٤٠٠٠٠ جنيه مجيدى في السنة مضافا اليه الايراد الصافي لعوائد هذا الأقليم المقدر بمبلغ ٥٠٠٠ جنيه مجيدي

(خ) ايراد التنباك المحدد بمبلغ ٥٠٠٠٠ جنيه مجيدي تضمنه مصلحة الجمارك بسفاتج تسحب عليها فى كل نصف سنة

(د) جميع المبالغ التى تدفعها للحكومة العثمانية كل من حكومات السرب والجبل الاسود والبلغار واليونان مما فرض عليها دفعه من الدين الاهلي فى معاهدات برلين والاتفاق المبرم فى القسطنطينية يوم ٢٤ مايو سنة ١٨٨١

الانواع الستة من الاموال غير المقررة المذكورة فى حرف (١) ضمنت

كما قلنا لاصحاب مصارف ( بنوك ) غلطه دينهم الذي على الحكومة العثمانية وقدره ٨٥٩٠٠٠٠ جنيه مجيدى وقد تنازل هؤلاء بمقتضي اتفاق حصل بين الطرفين فى ٢٠ دسمبر سنة ١٨٨١ عن ادارة هذه الاموال لتكون تابعة لنظارة المالية في مقابلة ايراد ٣٧١٣٦٣ سهما قيمة كل منها ٢٢ جنيها مجيديا وربحه السنوي خمسة في المابة وذلك عبارة عن راس مال قدره ٨١٦٩٩٨٦ جنيها مجيديا

لحاملي هذه السهام حق الاولوية على من عداهم من أصحاب قروض الدين العثماني العمومى وهذا الحق يكسبهم مبلغ ٥٩٠٠٠٠ جنيه مجيدى بعضه فائدة وبعضه من أصل الدين يستنزل لهم فى كل سنة بمقتضى هذا الامتياز من صافى ايراد الاموال المتقدم ذكرها ولذلك سميت هذه السهام بالسهام الممتازة

هذا الاتفاق المبرم فى ٢٠ دسمبر سنة ١٨٨١ كثير النتائج الحسنة فى زيادة مالية المملكة العثمانية لا من حيث مالقيه من الفوائد العاجلة فقط بل من حيث الفوائد المستقبلة التي جعلها سهلة الحصول

قد وضع جلالة السلطان بما عهد فيه من الحكمة في الارادة السنية التي صدرت بهذا الاتفاق فى شهر دسمبر سنة ١٨٨١ مبدأ تحويل الدين العثماني الذي وحده توحيدا كان فيه اكبر فائدة لجميع المعاملات العامة ولمصلحة حسابات المالية

لم يتوقف وكلاء البيوت المالية بلندره وباريس وفينا وبرلين وهم أصحاب الاغلبية من حاملي السندات العثمانية فى قبول هذا المبلغ فصدرت ادارة سنية فى ٢٦ يوليه سنة ١٨٨٣ بالتصديق على مشروع مجلس ادارة الايرادات

المتنازل

المتنازل منها للدائنين الخاص بتحويل الدين العمومى الذى نقص مقداره كما علمت وبالتصريح باصدار سهام جديدة

آخر الاعمال التي حصلت فى هذا الشأن بعد تاريخ صدور هذه الارادة كان في ١٢ مايو سنة ١٨٨٤ ولما تعين المندوبون لمراقبة التحويل فى ٢٣ يوليه من هذه السنة ابتدأت الاعمال فى ٢٠ نوفمبر منها وتحرر لنجازها ميعاد من أول مايو سنة ١٨٨٨ الى ١٣ منه

غير ان هذا التحويل أوتوحيد الدين العمومي العثمانى ان أردت تسميته باسمه الحقيقي لم يكن الا مقدمة لاتفاقات أخري كان من شأنها فضلا عن استمرارها على تقليل مقدار الدين العمومي والدين الداخلي المتداول أن تورد للخزينة العثمانية مبالغ مهمة

كذا كان تحويل الدين الممتاز وقرض الدفاع فى ٢٧ ابريل سنة ١٨٩٠ وصدرت ارادة سنية مقتضاها اقتراض مبلغ ١٩٥٦٨٥٠٠ فرنك يكون ممتاز التحويل بفائدة أربعة فى المائة الممتازة المضمونة بتلك الايرادات أو تسديد قيمها تبعاً لارادة حامليها

قسم هذا القرض الي ٣٩١٣٦٣ سهما لحاملها قيمة كل منها ٥٠٠ فرنك وربحه السنوي عشرون فرنكا تدفع أثمانها على أقساط متساوية فى أربع وأربعين سنة أو على ثمان وثمانين سحبه تحصل فى كل نصف سنة منها واحدة بالقسطنطينية في شهر فبراير وأغسطس من السنة تحت ملاحظة مجلس ادارة الدين العمومى والمصرف ( البنك ) العثمانى وربح هذه السهام يدفع ذهباً فى كل نصف سنة يومي ١٣ مارس و١٧ ستمبر من السنة بمدن باريس والقسطنطينية ولندره وبرلين وفرنكفورت وامستردام فى مكاتب

المصرف العثمانى أو مكاتب وكلائه

حدد ثمن السهم من هذه السهام الجديدة بمبلغ ٤١١ فرنكا وخمسين سنتيما من ١٣ مارس سنة ١٨٩٠ وأعطى الحق لحاملى السندات الممتازة التى ربحها السنوي ٥ في المائة فى الاشتراك بالاولوية فى تلك السهام بسعر ١١٠ فرنكات بدون أن ينقص هذا الحق شيأ من حقوقهم أو ان يدفعوا فى نواله شيأ

ان مقدار الدفعة السنوية الواجبة لحاملى السندات الممتازة التى ربحها ٥ فى المائة والتى حدد لتمام سدادها سنة ١٩٠٦ كان بمقتضى اتفاق ٢٠ دسمبر سنة ١٨٨٠ مبلغ ٥٣٧٠٠٠ جنيه انكليزى أما السهام الجديدة فلما كانت دفعتها السنوية مبلغ ٣٩٢٠٠٠ جنيه انكليزي فقط ينتج من ذلك نقص فيما كان يدفع مسانهة قدره ١٤٥٠٠٠ جنيه انكليزي فى السنة خصص لسداد (استهلاك) أربعة أنواع الدين على نسب متساوية الا الاول منها فان ما خصص له من هذا المبلغ هو ١٠٠٠٠ جنيه انكليزي فقط

لو أن تحويل الديون المتازة كان قاصراً على تلك المزية لم يكن فيه أدنى فائدة عاجلة للخزينة العثمانية . وان كان قد يفيد من حيث حالة الدين العمومي فى تركيا

فى هذا المقام قد تجلى لاعين الناس حذق جلالة السلطان فى الامور المالية بأعجب منظر وأبهاه فانه قد حمل أرباب الدين الداخلى المتداول وهم حملة الاوراق المسماة بالسهام المؤقتة والاستقراضية على الانتفاع من هذا التحويل

أخذ الوكلاء الماليون المكلفون بتحويل الديون الممتازة على أنفسهم أن يقترضوا خمسة ملايين من الجنيهات المجيدية باصدار سهام ربح كل منها أربعة

في

في المائة وله من أجر الاستهلاك واحد فى المائة خصص من هذا المبلغ نصفه (مليونان ونصف) لتحويل الاوراق المسماة بالسهام المؤقتة وغيرها

وخصص ١٠٠٠٠٠ لدفع بعض مطاليب الخزينة العثمانية أما باقي المبلغ وهو مليون ونصف فقد واظب أولئك الوكلاء على أخذه بسعر ٧٥ باعتبار جملة السهام المصدرة ودخل بسبب ذلك في خزينة الحكومة التركية مبلغ ١١٠٠٠٠٠ جنيه مجيدى

قد نشر في ٣ يونيه سنة ١٨٨٧ في جرائد القسطنطينية مذكرة رسمية بينت حالة تحويل جزء من سهام الدين المتداول فجاء فيها ان الاوراق المسماة بالسهام المتحولة والجديدة والعادية والمؤقتة والاستقراضية ذات التحويلات الاهلية وهذه السهام هى أوراق الدين الاهلى المقترض أثناء الحرب التركية الروسية وبعدها يجب أن تبدل بالسندات الجديدة التى تدفع قيمتها لحاملها المسماة بالسهام التركية

حدد رأس المال الذي أريد تحويله على هذه الطريقة وهي (١) بالنسبة للسهام المحولة والجديدة حدد بمبلغ مساو لربحها مدة عشر سنين محسوبا هذا الربح بالسعر المقرر لهذه السهام (٢) بالنسبة للسهام العادية والمؤقتة حدد بمبلغ مساو لربحها مدة ثمان سنين (٣) بالنسبة للدين الداخلى برأس ماله الموجود

في سنة ١٨٩١ ابتكر تدبير جديد لا يزال فى معرض البحث اذا تحقق رجى من ورائه خير كثير لمالية الدولة العثمانية ذلك هو تأصيل المبلغ الذى يتوفر مسانهة من تحويل الديون الممتازة وهو ١٤٥٠٠٠ جنيه انكليزى (تأصيله جعله رأس المال) ينشأ بهذا المبلغ السنوي قرض قدره ٢٩٠٠٠٠٠ جنيه

انكليزى باصدار سهام عثمانية ممتازة بنفس السعر الذي أصدرت به سهام ٢٧ ابريل أعنى أربعة فى المائة من الربح وواحدا في المائة من أجر الاستهلاك تدفع قيمة هذه السهام فى أربع وأربعين سنة

لما كان الفرعان من الدين العثماني المشار اليهما بحرفي ( ت ) و ( ث ) كما تقدم مقدرين بقيمة أقل من الفرعين السابقين لهما كانت الهمة موجهة طبعاً لايجاد طريقة استهلاك اضافية لتسديدها فلهذا الغرض أخذ وكلاء الديون على أنفسهم أن يدفعوا فيما يطلب منهم سهاما من هذين الفرعين حرصاً منهم على أخذ السهام الممتازة الجديدة التي قيمتها ٨٠ وبما كانت تقتضيه سهام النوعين المذكورين في ذلك الوقت من الثمن الذى فى رأس مال حقيقى قدره ٢٣٢٠٠٠٠ جنيه انكليزي يخرج من أيدي المتعاملين ١١٠٠٠٠٠ جنيه انكليزى من الدين العمومي هذا المبلغ لما كان للحكومة فيه بمقتضى اتفاق ٢٠ دسمبر سنة ١٨٨١ واحد فى المائة أعنى ١١٦٠٠٠ جنيه انكليزي فستكفى مصلحة الدين بسبب تأصيل مبلغ ١٤٥٠٠٠ جنيه انكليزى مؤنة المطالبة السنوية بمبلغ ١١٦٠٠٠ جنيه انكليزى هذا العمل هو من الاهمية بحيث ان الحكومة العثمانية لا تسرع فى القطع باجرائه بل انها لا تجزم به الا بعد الاحاطة بجميع وجوهه وتقدير كل الاعتبارات فيه وقد استفادت السهام التركية أيضاً استفادة تذكر من المزايا الناشئة من تحويل السهام الممتازة فبلغ استهلاك هذه السهام من ٥٨ الي ٧٢ فى المائة وحينئذ فالذى كان ينال فى الاقتراع ( يانصيب ) على مبلغ ٦٠٠٠٠٠ فرنك جائزة قدرها ٣٤٨٠٠٠ فرنك صار يقبض من الآن فصاعدا جائزة ٤٢٢٠٠٠ فرنك

لننظر الآن فى تحويل قرض الدفاع بواسطة تأصيل جزء من الخراج

الذي

الذى تأخذه الدولة من مصر في سنة ١٨٨٧، كانت حكومة جلالة السلطان افتكرت في أن تحوّل القروض المختلفة المضمونة بهذا الخراج الذي تدفعه مصر للباب العالي الا أنه قد منع من انفاذ ذلك فى حينه جملة موانع سياسية ومالية ولكن عند ماراأي جلالة السلطان انه قد جاء الوقت المناسب لانفاذه صمم عليه في سنة ١٨٩١ وقد توجهت مساعيه الي الآن بالنجاح التام. ان قرض الدفاع التي أصدرت سهامه في سنة ١٨٨٧ وهو آخر القروض المضمونة بالخراج المصرى يبلغ ٥٠٠٠٠٠٠ جنيه انكليزى وربحه خمسة في المائة واجر استهلاكه واحد في المائة في شهر فبراير سنة ١٨٩١ نقص أصل هذا القرض بسبب الاستهلاك الى ٤٣١٦٥٢٠ جنيها انكليزيا وذلك فى أثناء المذكرات الاولى بين الحكومة العثمانية ووكلاء الدائنين انحط من الدفعة السنوية التي يضمنها هذا القرض وهي ٢٨٠٦٢٢ جنيها انكليزيا بمقتضى الارادة السنية الصادرة فى ٢ مارس سنة ١٨٩٢ الخاصة بتحويل القرض المذكور مبلغ ١٤٠٣ جنيهات انكليزية نفقات واجرة عمل (عمولة أو قومسيون) ومبلغ ٢٦٥٤٣ من أجل الاستهلاك وبقى بهذا النقص من أصل الدفعة ٢٥٢٦٧٦ جنيها انكليزيا لتأصيله فاذا جعل ربحه ٤ فى المايه كان الحاصل راس مال قدره ٦٣١٦٩٣٠ جنيها انكليزيا فالثمن الذى أصدرت به تلك السهام وهو ٩٠ كان راس المال الاسمى هذا يعطى راس مال حقيقى وقدره ٥٦٨٥٢٣٧ جنيها انكليزيا وقد نقص هذا المبلغ بما سقط منه من أجرة عمل الضمانة (العمولة) وهى واحد فى المائة على رأس المال الاسمي الى مبلغ صاف وهو مبلغ ٥٦٢٢٠٦٨ جنيها انكليزيا من هذا المبلغ استغرق تحويل ما يوجد من سندات قرض الدفاع مبلغ ٤٣١٦٥٣٠ جنيها انكليزيا وينتج من ذلك للخزينة العثمانية ربح صاف قدره ١٣٠٥٥٣٨ جنيها

انكليزيا وتلك بلا شك نتيجة عظيمة لا تحتاج لشرح في تقدير القارىء لها حق قدرها

بقى علينا مما نسرده على القراء من تحويل القروض العثمانية سردا سريعاً الكلام على مشروع قد تقرر مدنيا ولا شك انه لا يمضي عليه زمن حتي يتم انفاذه وهو اصدار سهام لقرض قدره ٥٠٠٠٠٠٠ جنيه انكليزي ربحها ثلاثة في المائة واجر استهلاكها واحد فى المائة ستتمكن به الحكومة العثمانية من شراء سهام الدين الموحد (وهى سهام ايصال خطوط حديد الروملي باوروبا المركزية) وقدر هذا الدين ٨١٠٠٠٠٠ جنيه انكليزى وتتمكن أيضاً من شراء مدرعتين من مدرعات الدرجة الاولى من أوروبا بمبلغ ١٤٠٠٠٠٠ جنيه انكليزي ولما كانت السهام المصدرة بثمن ٦٠ فى المئة سيحصل منها ٣٠٠٠٠٠٠ جنيه انكليزى فيبقى للحكومة العثمانية من هذا المبلغ ٧٠٠٠٠٠ جنيه انكليزي حددت الدفعة السنوية لهذا القرض بمبلغ ١٧٣٠٠٠ جنيه انكليزى وهذا فى مقابلة مبلغ ٨٧٠٠٠ جنيه انكليزى كان يطلب للقرض الموحد ومبلغ ٨٦٠٠٠ جنيه انكليزى كان ينتج من احتكار التنباك الذى منح لاصحاب هذا القرض من سنتين

قد رأى القارىء فيما سلف ان الامر العالي الصادر في ٢٠ دسمبر منح لحاملى السندات التركية تلك الاجزاء من الدين العمومي التي الزمت بها معاهدة برلين كلا من حكومة البلغار واليونان والجبل الاسود والصرب ولكن أوروبا قد تساهلت مع هذه الحكومات ولم تلزمها باداء ما فرض عليها مع أن الحكومة العثمانية قامت بما فرض عليها في تلك المعاهدة بصدق اضاع كثيرا من منافعها وهذا يدل دلالة واضحة على عدم

ثبات

ثبات الدول التى كان لها نواب فى مؤتمر برلين ولولا ذلك لما رضيت أبدا بنقض تلك الحكومات الصغيرة ما ابرمته الدول الكبرى ووقع عليه نوابها سيتضح للقاريء مما نورده عليه بالاختصار من اجزاء الدين التى الزمت بها الحكومات المذكورة ومما عرضته الحكومة العثمانية من طرق تسديدها عرضا رسميا ومما فى هذه الطرق من امارات العدل ودلائل الانصاف أهمية حل هذه المسئلة السيئة بالنسبة لتركيا ودائنيها وما ظهر فيها من اعتدال حكومة جلالة السلطان ظهورا واضحا

حكومة البلغار مدينة لخزينة الحكومة العثمانية بحسب الارقام المأخوذة من مصلحة الدين العمومي بمبلغ اسمى قدره ١٠٨٨٥٢٨ جنيها مجيديا فائدته واحد في المائة فما يدفع من الفائدة مسانهة يكون ١٠٨٨٥ جنيها مجيديا وهذا المبلغ ( الفائدة ) هو الذي كان من الضروري تأصيله

اذا اعتبرنا ان متوسط سعر ربح سهام الحكومات في أوروبا أربع فى المائة نستفيد انه لا يبقى على البلغار شيء مما لزمها من الدين بعد نهاية المدة المقررة لدفعه فان ربح الدفعة السنوية من راس المال الواجب عليها هو اربع في المائة

والمدة المقررة لاستهلاك المال مائة فى السنة في هذه الاحوال يكون المبلغ اللازم لتعويض الدفعة السنوية وهى ١٠٨٨٥ جنيها مجيديا

وجدت الحكومة المذكورة في هذا التدبير منة عظمى من تقوية الثقة بها والحصول على الوفور المهمة الناتجة لها من المبلغ التي هي مدينة به للحكومة العثمانية هذه المزايا من شأنها ان تحملها على المشاركة فى انفاذ ذلك المشروع وفي الحقيقة لو ان حكومة البلغار كانت تسير فى دفع القسط الواجب عليها

من الدين مسانهة على طريق الحكومة العثمانية في الدفع ( وهو الذي يجب عليها ان تفعله ) لاضطرت فى هذه الحالة ان تدفع فى كل سنة مبلغ ٥٤٤٤٢٥ جنيها مجيديا وذلك بسبب زيادة هذا القسط تدريجا الى ٥٠ فى المئة على حسب زيادة الواردات المتنازل عنها للدائنين وفوق ذلك ما كان يتيسر لها أبدا

أين تعرف المبلغ الذى يجب ان يحتسب لخزينتها من قبل ان تسدد الدين كله

فاذا تحامينا خطر احتمال ما قد يعرض من الشك فى لزوم دفع ذلك المبلغ فى خلال مدة القرن المقررة لدفع الدين وقدرنا ما تدفعه حكومة البلغار كل سنة باثنين في المئة لكانت دفعتها السنوية ٢١١٧٧٠ جنيها مجيديا في مدة مائة سنة فدفعها مبلغ ٢٠٨٦٥٠ جنيها مجيديا مسانهة مدة خمس وعشرين سنة فقط هو اذن تدبير كله فائدة لها

اذا بحثنا في اقساط الحكومة الاخرى من الدين كما بحثنا فى قسط دين البلغار وجدناها كما ترى

قسط اليونان

جنيها مجيدياً

٥٧٤٣٧٣ يسدد فى مائة سنة ان كانت دفعته السنوية ( ٢٨٤٥٩ ) جنيها مجيدياً وربحه أربعة فى المائة ويسدد في ٢٥ سنة ان كانت دفعته السنوية ٤٤٩٣١ جنيها وربحه ستة فى المائة

« قسط الصرب »

٥٦٨٠٧٥ يسدد فى ١٠٠ سنة ان كانت دفعته السنوية ٢٣١٨٢ جنيها

وربحه

وربحه أربعة فى المائة يسدد فى ٢٥ سنة ان كانت دفعته السنوية
٣٤٠٨٤ وربحه ستة

« قسط الجبل الاسود »

٢٦٦٥٩ يسدد في ١٠٠ سنة ان كانت دفعته السنوية ١٠٨٨ جنيها وربحه ٤
يسدد فى ٢٥ سنة ان كانت دفعتــه السنوية ١٠٨٥ وربحه ٦

لو أن الدول التي وقعت على معاهدة برلين اختارت هذا التدبير الذي هو غاية في سهولة الجري على مقتضاه ولا وجه للنقد عليه وألزمت الحكومات المذكورة باتباعه لحصلت تركيا عاجلا على مبلغ ٣٨٣٦٣٤٧ جنيها مجيدياً ولنقص دينها بسبب ذلك المبلغ ١٩٠٠٠٠٠٠ فى بعض سنين باستعمالها هـذا المبلغ استعمالا رائده العقل والحكمة اللذان تبعتهما فى تدبير جميع رؤوس أموالهـا من عهد جلوس جلالة السلطان عبد الحميد على أريكة الملك

للدائنين الاوروبيين اذن أن يأسفوا على ان حكوماتهم لم تؤيد مطالب تركيا الحقة المبنية على الانصاف ولـكن عليهم أن يتحملوا شهادة حق مدهشة على صدق تركيا في الوفاء بعهودها وقدرتها على تنفيذ الزاماتها بأحسن طريقة نافعة لمعاقديها

كانت السهام المـكونة للدين العمومي العثمانى معتبرة الى ذلك العهد فى معظم الاحيان كأنها مسائل ضمان استرباحية

ويحسن بنا أن نبحث الآن فيما كذا هل هـذه هي قيمتها الحقيقيـة في الوقت الحاضر أم لا

كان الدين العمومى العثمانى فى خلال العشرين سنة الاولى من تشكيل

ادارته يزداذ على الدوام باصدار سهام جديدة ويستميل عددا كبيراً من أرباب الاموال بسبب الفائدة المرتفعة التى كانت تعرض على مشتري سهامه ولما حدثت حوادث سنة ١٨٧٥ تفرق من كانوا متكالبين على تلك السهام وبقيت أسواق الاوراق المالية بأوروبا غاصة بها الي سنة ١٨٨١ ثم ابتدأ دور آخر لاقبال الناس عليها بعد الاتفاق المبرم فى ٢٠ دسمبر سنة ١٨٨١ واستمر بلا انقطاع مدة السنين العشر الاخيرة فاذا لم يتم للآن بيعها وكان لا يزال جزء عظيم منها فى الاسواق فليس ذلك الا لان حالة الدين الحالية وما حصل فيه أثناء هذه السنين العشر من التغيير الكلى الناتج من الاصطلاحات التي منشأها عناية جلالة السلطان لم يفهمها كثير من الناس حق الفهم ومع ذلك لو انانسبنا مبلغ الدين السنوي الي عدد سكان الدولة العلية وعدد ما فيها من الاميال الاربعة وقارنا بينها وبين البلاد الاخري لاوروبا فى ذلك لنتج لنا من هذا البحث الاحصائى حقيقتان ( أولاهما ) ان الدين العثمانى أقل بكثير من معظم ديون البلاد الاخري باعتبار عدد السكان فى كل منها ( ثانيهما ) ان مساحة أرض الدولة العثمانية لما كانت تسع من السكان أكثر مما فيها الآن بكثير فيمكن اعتبار ان هذه الدولة لم يعمر الا خير منها فقط (لو صح أن يقال هكذا) ولما كانت غنية تكبير مصادر الثروة الطبيعية كان ينتج من هذه المصادر فوائد خارقة للعادة لو انها دبرت أحسن تدبير يؤدي الى الانتفاع بها مما ذكر يتضح لك اذن ما تنوقل عن سهام تركيا من انتهاء طرق ضمان استرباحية غير صحيح

قد قررت غرامة الحرب الروسية التركية فى اتفاق ١١ مايو سنة ١٨٨٢ المبرم بين الحكومة العثمانية وحكومة الروسيا وأخذت الحكومة العثمانية تسدد

هذا

هذا الدين الذى قدره( ٨٠٢٥٠٠٠٠٠ ) فرنك أو ( ٣٥٠٠٠٠٠ )جنيه مجيدي، بدفعة سنوية قدرها ( ٣٥٠٠٠٠ ) جنيه مجيدي ومدة استهلاكه مائة سنة

ومما خصص لتسديد رسوم الاغنام والاعشار التى تجيء من ولايات حلب وقونيه وقسطمونى واطنه وسيواس وهى ايرادات كان مجموعها يبلغ الى سنة ١٨٨٢ مبلغ ( ٤٢٧٥٠٠ ) جنيه مجيدى لكن بسبب القحط الذى أكل آسيا الصغري وتركيا آسيا كما أكل المزروعات القليلة واستمر عدة سنين قد قلت تلك الايرادات عما كان مقدراً لها وتسبب عن ذلك زيادة دين الغرامة فبلغ في سنة ١٨٨٨ الى ( ٦٠٠٠٠٠ ) جنيه مجيدي

وقد أبرم اتفاق جديد بين الحكومتين المختصتين بتصفية هذه المتأخرات من أقساط الغرامة أعطيت الروسيا بمقتضاه أجزاء الخراج المتحصلة من ولايات حلب مع بقاء هذه حرة واعشار ولاية معمورة العزيز وبقيت الروسيا تقبض في الدفعة السنوية مبلغ ( ٤٥٠٠٠٠ ) جنيه مجيدى عوضا عن الدفعة الاصلية التى قدرها ( ٣٥٠٠٠٠ ) جنيه مجيدى وذلك مدّة ست سنوات

أما التعويض الذى اشترط دفعه للتجار الروسيين الذين كانوا يقيمون في تركيا وحصلت لهم خسائر من الحرب التى حصلت فى سنة ١٨٧٧ فقد حددته اللجنة التى شكلت للبحث فى مطالب أولئك التجار البالغ مجموعها ( ١٩٠٠٠٠٠٠ ) فرنك بمبلغ (٦٠٠٠٠٠ ) فرنك

وفى دسمبر سنة ١٨٨٤ دفع قسط من هذا الدين وقدره ( ٥٠٠٠٠ ) مجيدي للدائنين ذوي الشأن

قد نشر جرنال المجلس التجارى بالقسطنطينية فى ٧ ابريل سنة ١٨٩٢ مقالة عظيمة الشأن فى الايرادات المتنازل عنها لمصلحة الدين العمومي هاك ترجمتها

انا نحفظ لانفسنا الحق فى أن ننشر فى أقرب وقت كالعادة تقريرا مفصلا لمجلس الادارة خاصا بالايرادات المتنازل عنه لمصلحة الدين العثمانى عن أعماله في سنة ١٣٠٩ هجرية الموافقة لسنة ١٨٩٣ مسيحية المتداخلة فى سنة ١٨٩٤

الا أنا قبل ذلك نقدم للقراء بعض الارقام الدالة على الحالة العمومية للدين في آخر السنة التى نهايتها ٢٨ فبرايرسنة ١٨٩٤ مقارنة بها فى سنة ١٨٩٢ المتداخلة فى سنة ١٨٩٣

| | سنة ١٨٩٣ — ١٨٩٤ | سنة ١٨٩٢ — ١٨٩٣ |
|---|---|---|
| | جنيه مجيدى | |
| ايرادات مجملة من كل المصادر | ٢٥٤٢٧٣٥ | ٢٥٠٨٧٦٠ |
| مصاريف الادارة ومصاريف آخر | ٣٥٠٢٧١ | ١١٩٩٣٩ |
| | ٢١٩٢٤٦٤ | ٢١٨٨٨٢١ |

« ايرادات صافية »

| | | |
|---|---|---|
| مبلغ ما يوجد في المصلحة المركزية | ٢١٨٩٤٠٥ | ٢١٨٤٥٤٥ |
| باقي المبالغ المخصصة للاستهلاك في السنة الماضية | ٢١٥٥٥ | ٢٣٢١ |
| | ٢٢١٠٩٦٠ | ٢١٨٧٨٦٦ |
| باقي حساب يستنزل مما قبله | ١٠٨٧١٥ | ١٠٤٨٢٦ |
| | ٢١٠٢٢٤٥ | ٢٠٨٣٠٤٠ |

صاف

| | سنة ١٨٩٣ – ١٨٩٤ | سنة ١٨٩٢ – ١٨٩٣ |
|---|---|---|
| صاف للسهام المستهلكة خالص لمصلحة الدين | ٨٥٨٩٥ | ١٧١٣٠٧ |
| | ٢١٨٨١٤٠ | ٢١٥٤٣٤٧ |

| | سنة ١٨٩٣ – ١٨٩٤ | سنة ١٨٩٢ – ١٨٩٣ |
|---|---|---|
| يستنزل من ذلك | | |
| ايراد القروض الممتازة | ٤٣٠٥٠٠ | ٤٣٠٥٠٠ |
| ايراد القروض التي ربحها واحد في المائة المتنازل لاربابها | ١١٦١٣٥١ | ١١٦٣٥١ |
| عن الايرادات المشار اليها بحروف (ا) و(ب) | ٩٤٥٩ | ٩٤٥٩ |
| و(ت) و(ث) والسندات التركية | | |
| ايراد مصلحة القروض التى حصلت | ١٦٠١٣١٠ | ١٦٠١٣١٠ |
| في سنى ٨٦٣ و – ٦٤ و – ٦٥ | | |
| و ب ٧٣ | | |
| باقى يستعمل فى الاستهلاك | ٥٨٦٨٣٠ | ٥٥٣٠٣٧ |

| | سنة ١٨٩٣ – ١٨٩٤ | سنة ١٨٩٣ – ١٨٩٤ |
|---|---|---|
| مبلغ الاستهلاك العادي | جنيه | مجيدي |
| المخصص لشراء الداخل المدلول عليه بحرف (ا) | ٢٠٥٠٤٧ | ٢٩٢٨٩٥ |
| وفيه ربح السندات المستهلكة | | |
| المخصص لشراء الدخل المدلول عليه بحرف (ب) | ٩٩٢٠٦ | ٧٤٣٢٩ |
| وفيه ربح السهام المستهلكة | | |
| الناتج من تحويل السهام الممتازة والمستعمل عادة فى الاستهلاك | ١١٣٣٨ | ١١٥٥٤ |
| مبالغ مشتملة على ربح السندات المستهلكة ومستعملة فى الاستهلاك | ٥٥٧٧١ | ٥٤٠٢٧ |

| | | |
|---|---|---|
| الديون المضمونة بالايرادات المدلول عليها بحروف (ا) و(ب) و(ت) و(ث) | ٥٨٢٧٤ | ٥٥٥٣٨ |
| مجموعها | ٤٥٤٤٨ | ٤٣١٣٩ |
| يضاف اليها | ٥٦٥٤٦٤ | ٥٣١٤٨٢ |
| هذا المبلغ لاجل استعماله فى الاستهلاك المستقبل | ٢١٣٦٦ | ٢١٥٥٥ |
| المجموع | ٥٨٦٨٣٠ | ٥٥٣٠٣٧ |
| | متوسط الثمن | متوسط الثمن |

راس المال الاسمى المستهلك

| في خلال السنة | فى المائة | جنيه انكليزي | فى المائة | جنيه انكليزى |
|---|---|---|---|---|
| القسم المرموز بحرف (ا) | ٣٠ر٥٧ | ٤٨٩٠٠٠ | ٥٣ر٦٤ | ٥١٦٠٠٠ |
| » » » (ب) | ٣٤ر٨٧ | ٤٠٤٠٠٠ | ٣٠ر٧٠ | ٣٨٠٠٠٠ |
| » » » (ت) | ٢٣ر٧٥ | ٢٢٣٠٨٠ | ٢١ر٥٨ | ٢٣٤٠٠٠ |
| » » » (ث) | ٢٢ر٣١ | ١٨٥٢٠٠ | ٢١ر ٨ | ١٨٦٠٠٠ |
| | ٣٩ر٥٠ | ١٣٠١٢٨٠ | ٣٦ر٧١ | ١٣١٦٠٠٠ |

مبالغ مخصصة للاستهلاك

جنيه مجيدى

| | راس مال اسمى وأصلى | راس مال اسمي مستهلك |
|---|---|---|
| الجملة الاولى قسم حرف (ا) | ٧١١٩٦٨٢ | ٥١٧٠١١٠ |
| » الثانية قسم حرف (ب) | ١٠٠٤٤٨٢٥ | ١٢٣٤٥٠٠ |
| » الثالثة قسم حرف (ت) | ٣٠٥٤٩٢٢١ | ٨٤٢٨٨١ |

حرف

| | | |
|---|---|---|
| حرف (ث) | ٣٤٦٥١٩٦٥ | ٧٥٧٥٠٠٠ |
| الجملة الرابعة السندات التركية التى ربحها ٥٨ في المائة | | ٢٨١٠٠٠ |
| « ٢٠ فى المائة | ١٤٢١١٤٠٧ | ١١٠٧٤١ |
| « المشتراه | ٣٣٢٥٤٨ | |
| المجموع | ١٠٥٥٧٧٣٣٠ | ٨٨٢٨٤٧٩ |

يتبع هذا حساب تفصيلي للايرادات والمصروفات وهو

| | سنة ١٨٩٣ — ١٨٩٤ | سنة ١٨٩٢ — ١٨٩٣ |
|---|---|---|
| | جنيه مجيدي | |
| ايراد المشروبات الروحية والملح وطوابع البوسته والاسماك والحرير ومتأخرات التبغ | ١١٠٤٦٠٥ | ١٠٩١٠٣٧ |
| أعشار التبغ | ٩٥٣٥٩ | ١٠٠٨٦٥ |
| عوائد التبغ | ٧٥٠٠٠٠ | ٧٥٠٠٠٠ |
| جزء من ربح الرسوم | ٣٧٠٨٤ | ٢١٧٤٥ |
| خراج الروملي الشرقي | ١٥٢٠٢٦ | ١٥٢٠٢٦ |
| سفاتج على مصلحة الجمارك من أصل خراج جزيرة قبرص | ١٠٢٠٥٦ | ١٠٢٥٩٦ |
| وخراج التنباك | ٥٠٠٠٠ | ٥٠٠٠٠ |
| | ٢٢٩١٦٣٠ | ٢٢٦٨٢٦٩ |

مصروفات سنة ١٨٩٣ - ١٨٩٤    ١٨٩٢ — ١٨٩٣

| | جنيـــه مجيـــدى | |
|---|---|---|
| مصروفات الادارة المركزية لمصلحة الدين | ٨٣٥١٤ | ٦٧٤٨٣ |
| الخسارة الناتجة من تبديل الفضة | ١٠٠٩ | ٧٤٢ |
| نفقات وأجر عمل ( عموله ) | ١٦١٨٨ | ١٧٧٣٥ |
| المجموع | ١٠٠٧١١ | ٨٥٩٦٠ |
| فائدة الحطيطة في بيع الكمبيالات | ٧٨٦١ | ٢٨٧٨ |
| يستنزل من ذلك الربح على المبالغ المودعة وهو | ٦٣٠٨ | ٥١١٤ |
| المجموع | ٢١٨٩٤٠٥ | ٢١٨٤٥٤٥ |

لما كان المطلع على الجداول المتقدمة يمكنه أن يقتنع بما جاء فيها فالنتيجة العامة لاعمال سنة ١٨٩٣ المتداخلة فى سنة ١٨٩٤ هى أحسن وأدل على التقدم من نتائج أعمال السنين المتقدمة

قد نشر أخيرا تقرير المسيو فنسان كيارد عن الدين الاهلى العثماني فى سنة ١٨٩٣ المتداخلة في سنة ١٨٩٤ وهو يحتوى كالعادة على بيان مفيد لحالة دين المملكة العثمانية

قال المسيو فنسان كيارد في هذا التقرير لاشك في اني أؤمل ان الايرادات المتنازل عنها للدائنين يمكن أن تزيد فى كل سنة زيادة مهمة كالتي تكلمت عنها فى تقريري عن أعمال السنة الماضية وان التقدم لم تظهر بعد علائمه كما ظهرت فى السنة المذكورة الا أن الامور يظهر انها ستجرى في نفس مجراها

قد زادت جملة الايرادات الي أن بلغت ( ٢٥٤٢٧٣٥ ) جنيها مجيديا يقابلها في السنة الماضية ( ٢٥٠٨٧٦٠ ) جنيها مجيديا أو ٣٥ ر ١ في المائة

لكن من جهة أخرى قد زادت المصاريف مبلغ ( ٣٠٣٣٢ ) جنيها مجيديا فاذا قورنت سنة ١٨٩٣ المتداخلة فى سنة ١٨٩٤ بسنة ١٨٩٢ المتداخلة في سنة ١٣٩٣ وجدنا ان زيادة الايرادات في الاولي عن الثانية هى ( ١١٠٦٣١ ) جنيها مجيديا أو ٣٧ ره فى المائة

السبب الاول فى زيادة المصاريف هو زيادة أجر العمال وهذه طريقة اختارتها ادارة مصلحة الديون لتتكفل بها لنفسها الحصول على عمال اكفاء خبيرين بالاعمال فزيد فى عدد المفتشين وكانت نتائج ذلك حسنة وسيكون أثر هذه الاصلاحات أظهر في نهاية السنة الحالية

لاحظ المسيو فنسان كيارد أيضا من جهة أخري ان تحصيل الايرادات كان يجرى مع صعوبات عظيمة بسبب قلة الحاصلات الزراعية جدا وانحطاط اثمانها فى جميع الجهات ولكنه يفتكر ان المبلغ المتحصل لا بد ان يكون وافيا بالمطلوب واردف هذا بقوله بعد فى هذا الموضوع ( سيتضح لك ان ايرادات سنة ١٨٩٣ المتداخلة فى سنة ١٨٩٤ أحسن من ايرادات السنة الماضية نعم انك لا تسر كثيرا في هذا الموضوع لان انحطاط أسعار الحبوب قد ثبط همم المزارعين أو قلل موارد ارزاقهم وهذه المصيبة أصيب بها أمة زراعية بطبعها وهى الامة التركية ولا يبرح عن ذهنك أيضا الحجر الصحى الذي خرب آسيا الصغري بسبب وجود الكوليرا بها . وحينئذ في سنة لم تساعد فيها الظروف كهذه قد ظهر من أوائلها ان الايرادات حفظت نسبتها مع ان الاحوال في هذه السنة كانت أبعد من ان تكون أحسن منها في السنة الماضية بل كانت اسوأ لكنى أظن من العبث ان نؤمل استمرار زيادة الايرادات واذا جرينا عليه في السنة الماضية كانت النتيجة راضية .

واليك عبارة المسيو فنسان كيارد فى تقريره عن مسألة المال الاحتياطى لزيادة ربح الدين العمومي قال * ان المال الاحتياطى يصل في نهاية سنة ١٨٩٣ — ١٨٩٤ الي مبلغ (٢٢٤٨٩٣) جنيها مجيديا وسيصل في مارس سنة ١٨٩٣ الي مبلغ (٣٣٧٠٠٠) جنيه مجيدي فالآن ان أريد ان يدفع لمصلحة الدين مسانهة ربع الاحتياطي زيادة عما يدفع لها اقتضى ذلك وجود مبلغ (٢٩٢٧٠٠) جنيه مجيدي وحينئذ يكون الدفع ممكنا ولكن لا يستنتج من ذلك امكان حصوله عاجلا فان المادتين ١٠ و١١ من الامر العالي المكرم يظهر من فحواهما ان شعر الربح يلزم ان يقرر قانونا وهذا هو السبب فى ايجاد المال الاحتياطي لم يكن ليتأتى لواضعي هذا الامر ان يطلعوا على الغيب فيعرفوا مايتماور أسعار الربح من التغيير وما ينتج من ذلك من التشويش المشكل فى انفاذ مشروع الاستهلاك

ربما انهم كانوا يقصدون ان أسعار الربح اذا زادت تبقى على هذه الزيادة ولكي يقدموا لمجلس ادارة الديون الطريقة الكافلة لتحقيق هذه النتيجة منحوه الحق فى إيجاد مبلغ احتياطي يمكن ان يؤخذ منه من المال حسب مقتضيات الاحوال ما يكمل به النقص من أحد نصفي السنة الي نصفها الآخر

ومع ذلك فهاهى عبارة مسيو فنسان كيارد فى ابداء رأيه الذي هو متمسك به من غير شك كما قال فى صحيفة ١٧ من تقريره قال هذا السيد هذه المجازفة دون جميع المجازفات يظهر انها أحسن تدبير فى الامور المالية ولا يمكنني مع هذا ان انكر ان نص الامر العالي فيه دليل معقول جدا لأولئك الذين يريدون ان يدفعوا فورا واحداً في المائة من الربح الذى هو أربعة فى المائة وقد دفعه اكثرهم حتى حصل من المال الاحتياطى المبلغ

اللازم

اللازم ولا يعد ثم حاجة الى البحث فى ان سعر الربح يمكن ان يبقى على الدوام محفوظا من التغيير أولا يمكن

ان كل من يحاول بعد هذا اشراب الافهام فى الايام بقوله (الخلافة فى قريش ) ليس من قصده الآ شق قلب عصا الاسلام باثارة الخواطر على بنى عثمان لانه عامل من جهة الاعداء على الاجهاز على السلطنة الاسلامية ومحوها من لوح الوجود

قوله الخلافة فى قريش متكأ يتكىء عليه وهو نوكي لا يدري شيأ من الامامة المهمة التى قل ان توجد اليوم فى انسان واقلها معرفة حال الزمان والمكان وسياسة البلاد والعباد

ولو ان قصده الصلاح والاصلاح كما يقول لنقب على الاسباب التي هى أس البلاء ومنبع جرثومة الشر وحاول علاجها من أقرب الطرق الموصلة اليها

ان الباحث في حال انقلاب الامة لهذا الشقاء بعد السعادة والاستعباد بعد السيادة والذل بعد العز والفقر بعد الغني والضعف بعد القوة والجهل بعد العلم والظلم بعد العدل والفسق بعد العصمة حتى اذاقها الله لباس الجوع والخوف لما وجد علة ذلك ان الخلافة انتقلت من قريش وصارت الى بني عثمان لان جيراننا الذين سادوا علينا ليسوا بقرشيين بل ليسوا بمسلمين ولان الامة انتكست وادركها الاختلال أيضا والخلافة اذ ذاك فى جمرة قريش وتحولت وجوه مصالحها الى مضار ومفاسد والرائى يحكم ان كان منصفا ان بعض القرشيين من ضمن الاسباب التي زادت الامة شقاء وتعسا

قالوا تبقي الدولة مع الكفر ولا تبقي الدولة مع الظلم وصدقوا ولا ظالم أظلم ممن ظلم نفسه واهلك أهله بالبدع الذي تنبه عروق الخلاف والتفرق

الذى هو مدعاة للفتنــة ومبعث للشـقاق والهرج الذي منـه قولهـم الآن ( الخلافة فى قريش )

والدليل على سوء القصد انه لا يقدم بين يدي نصيحته علاجا لما نحن فيه وانما يلمع الى ما تعطل من أهم وظائف الامامة بحوادث الزمان أو الارتباط الواقع بين الدول من نتائج فرط الاختلاط بين الامم ويشير الي تعطيل حدودها بتهييج النزاع والشقاق ويشعل نارا كامنة خامدة لتذهب بطوائف الاسلام التى افترقت على ٧٣ فرقة وتلاشيها من الوجود

اللهم لا سيطرة على الخلفاء ولا محاسبة على أعمالهم رضى الله عنهم انا نقص عليك ما دوّنه التاريخ لتعلم ان الفتنة التي بها بلينا في هذه الايام أيام سلطنة بني عثمان لا تذكر في جانب ما مر وتصرم وولاة أمورنا منهم ليسوا بأشد ممن ارتقى عرش الخلافة من قبلهم لتحكم ان كنت منصفا على حالك الذى أنت فيه

انا لا ننكر الخصال التى بانت بها قريش عن جميع العرب فضلا عن العجم من كل وجوه خصال الكرم من الثبات والتحمس وجزل العطا واحتمال المؤن الغلاظ وقري الاضياف ووصـل الارحام والقيام بنوائب زوار البيت والاختصاص بمدح الفرسان والاشراف وانهم لم يشاركوا العرب والاعراب فى شيء من جفائهم وغلظ شهواتهم ويكفى انا لم نر قريشا انتسب الي قبيلة من قبائل العرب وقد رأينا فى قبائل العرب الاشراف رجالاً ينتسبون لقريش كنحو الذى وجدنا فى بني مرة بن عوف وبني سليم وفى خزاعة وفي قبائل شريفة أخر

ولكن تغير الاحوال وتبدل المظاهر واختلال الشؤون وافتراق الراعى والرعية ومخالفة الشرع وعدم الاهتـداء به والناس على مسمع مما شرعه الله

وفعله

وفعله رسول الله نسخ ما أحكم وأباح ما حظر وحظر ما اباح فتحولت القلوب الي وجهة أخري

انتقلت الخلافة الى بنى أميـة فاعطوا الملك حقه من الفتوح والتغلب والعدل فى القضاء وحفظ الامن والراحة ولكن لم يمنع اكثر أئمتهم من الانغماس في الترف والنعم والاستبداد بالاعمال كافة والاسراف فى النفقات من بيت المال ولم يبلغ ملكهم قرنا واحدا حتي باد على يد الدولة العباسية والتاريخ الذى شمل الكثير من حسنات عبد الملك بن مروان وسياسة وسيرة عدل عمر بن عبد العزيز ومكانته دلنا ان هذه الفضائل غيض من فيض في جانب فسق يزيد وسفه الوليد وغيرهما من خلفاء تلك الدولة وانتهي هذا الملك بالخيبة والدمار لما حدث فيه من البدع والفوضي الدينية ووضع الاحاديث واختلافها وتزعزع قوائم الدين وتفرق أهله شيعاً فى معتقداتهم من حدوث المذاهب المختلفة كالخوارج والمعتزلة والجبرية والحوادث المشؤمة التي ان خفيت كلها لا يكتم منها اشهار السيف فى وجه آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم من يد من يرجون شفاعتهم ويقرون بنبوته وهى الوخزة فى قلب الدين لم يندمل جرحها الى اليوم لان طبيعة الوجود ساعدت على تدفق سيرها حتى امتد بين أمم المسلمين ثم اجتهدوا وهم عرب قرشيون فى إضعاف سطوة العرب فى الحجاز لان ضلعهم كان مع الهاشميين وتمكنوا من ذلك بواسطة عمالهم الظلمة كالحجاج وغيره حتي ان المؤرخين والعهدة على من روى قالوا ان الوليد بن عبد الملك ما بنى تلك القبة على صخرة بيت المقدس وجعلها بحيث يطاف بها الا ليحول الناس اليها عن الكعبة وكثر اضطهاد العلويين في زمنهم فكان ذلك مغريا لقلوب محبيهم على زيادة الشغف بهم وانتهى

بالغلو الذي تعلم

ثم دالت الدولة الي العباسيين فساروا سيرة حسنة الي عهد أبناء الرشيد لكن سم الاهمال لا يزال ساريا في جسد المملكة حتى استبدت بسبب البرامكة بالاحكام وكادوا ينفردون بالسلطة وفعل بهم الرشيد ما فعل وكذلك الفوضى العلمية الدينية بقيت على حالها كأنما الخلفاء ناسون أمرها لاعاضد منهم لها ولا خاذل حتى قام المأمون وعلى علمه وفضله انتصر للمعتزلة فشق العقائد والمذاهب ثم نظر في امر العلويين مضطهدى بني اميه فعهد بالخلافه لعلى الرضا وغير قلوب بنى العباس عليه حتى أرادوا خلعه وبايعوا عمه ابراهيم ابن المهدي واضطهدوهم حتي قتل الكثير من عظمائهم سرا وجهرا وادي ذلك لجمع كلمتهم ودفع بهم الى تأسيس خلافة مستقلة وهى الخلافة الفاطمية التى ظهر معها مذهب الشيعة تمام الظهور وامتزج بمذهب الباطنية أتم امتزاج ثم جاء المعتصم فتغالي في الاعتزال حتى كانت فتنة القول بخلق القرآن واضطهد فيها الائمة المجتهدون وظهرت الراوندية الذين قالوا بعبادة الخلفاء والباطنية ومنها الاسماعيلية وكثرت فرق الدهريين وهم أشد المصائب على الدين لتأييدهم بالقوة السياسية بانتصار الخلفاء الفاطميين لهم ودعوتهم اليه وتعضيدهم بالقوة العلمية بما كان من اختلاط أقوال أصحابه بكلام غلاة المتصوفة الذين خاضوا فى الكلام الى ما وراء الحس فتابعوا الباطنية ان للقرآن معاني غير ما تعطيه اللغة وأساليبها وفتحوا على الامة باب التأويل واضلوها السبيل

كل هذا التفرق فى الدين كان منتشرا والخلفاء قرشيون كل هذا الخلاف والانحلال والخلفاء وادعون سا كتون سا كنون لا يهتمون لجمع الناس ولا

لشد

لشد ازر الدين وترك هذا السير يجرف حتي أدى للفوضي الحقيقية فى خلافة المعتضد وهى القيام على السلطان والخروج عليه والتظاهر بالمفاسد فنهبت الكرمانية الكوفة في سنة ٢٨٥ وأغاروا فى خلافة المكتفى على الشام وفلسطين وأوقفوا تجارة العراق والحجاز وحاصر رئيسهم أبو طاهر مكة وأخذها عنوة وهدم الكعبة واستباح الحرم بسفك الدماء وأخذوا الجزية من الخليفة القاهر والخليفة الراضي ثم سخر الله ملوك الهمدانية والاخشيدية وهما من الديلم والاتراك فنكاوا بهم وأزهقوا باطلهم ان الباطل كان زهوقا

اضمحلت الخلافة العباسية وتلاشت بما اضمحلت به الخلافة الاموية من الخروج عن العلم والعدالة ولكن العوارض الاخري التي عرضت عليها كانت أشد بلاء من بنى أمية لان الفتن والبدع وتفريق الكلمة فيها وصل الى حد لم يكن فى تلك

وأعجب ما فى الامر ان الخلل فى خلافتهم هذه بدأ فى عهد أعظمهم دولة وعلما وهو المأمون ثم استفحل الامر حتي آل الى استبداد مواليهم عليهم ثم الي مشاركة السلاطين لهم في ذكر أسمائهم فى الخطبة ثم الى قناعتهم باسم الخلافة عن فقد السلطنة بالكلية

أعطى المأمون لطاهر ولايه خراسان يشتغل بالحكم فيها لانه قتل له أخاه الامين ففتح باب الاستقلال بالحكم دون الخليفة وفرق السلطنة ومزق المملكة وأنفذ الخلل ثم أخذتهم الوحشة من أنفسهم وخافوا كيد بعضهم بعضا لانهم ظنوا بانفسهم سوءاً فاعتمدوا على الدخيل من العجم والترك فتخللوا مجامعهم وعرفوا دواخلهم وأدركوا فيهم وهنا وضعفاً لا ينبغي أن

يتصف بهما خليفة ولا سلطان وحسبك أن وصل هؤلاء الغرباء الي عزل الخلفاء منهم وأعجز المتوكل تلا في أمرهم

أهملوا أمر ممالكهم الغربية لا سيما في أفريقيا وآسيا فلو لا أن التتار استولت عليها لكانت الى يد غيرهم أسبق

انفردوا بالاحكام واستبدوا بها وجعلوا الخلافة بالعصبية حتى تولاها الجاهل والفاسق والظالم وأطلق المعتصم يده بالاسراف في مال المسلمين وصرفه فى الشهوات وحرق المتوكل وزيره وسلط الوحوش عليه ونهب داره وسن سنة اعداد المآدب لرجال الحكومة وقتلهم

أين المسلمون يومئذ يناقشون هؤلاء الخلفاء الحساب بل أين هم من المسلمين في عهد سيدنا عمر بن الخطاب وهو يقول على منبره من رأي منكم فيّ اعوجاجا فليقومه فقال له رجل لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا فقال الحمد لله الذى جعل فى المسلمين من يقوّم عوج عمر بسيفه بل أين هم من المسلمين فى عهد سيدنا عثمان بن عفان اذ جاءه أهل الامصار ينتصفون اليه فى شأن بني أمية وافراطهم في هذا الامر حتى أدى لقتل الخليفة لظلم بعض عماله

انظر لشعور المسلمين بقيود الشريعة التي توجب على الامام تحري مصلحة الامة فى كل عمل يعمله لها وانه مؤاخذ على كل خطأ كيف دعي أهل الاقطار للوفود على سيدنا عثمان

تأمل لحرية الخلافة التى تبيح لعبد حبشى كبلال رضى الله عنه أن يعتقل سيد بني مخزوم وفاتح بلاد الرومان (الشام) بعمامته على ملأ من الناس ويقوده الي أبي عبيدة ليناقشه الحساب أو يبعث به الي الخليفة الذي أمر بذلك

ثم

ثم تفرع من هاتين الخلافتين الاموية والعباسية خلافة أموية في الاندلس والخلافة الفاطمية فى مصر وهى من نتائج افتراق العقائد فى الدولة العباسية وعنها ومما يتبعها كانت السلطنة التركية في مصر . ابتدأت الخلافة الاموية فى الاندلس بالخليفة عبد الرحمن حفيد هشام وكان السبب فى مبايعته اختلال النظام وجراءة ولاتها وحكامها على تكليف الرعية فيها فوق وسعهم بسبب بعد البلاد عن مركز الخلافة ( بغداد ) وصعوبة المواصلات فكانت من القبائل الحميرية والشامية والعراقية والمنافسة على قبائل البربر الافريقية مؤد عظيم الي تأليف حكومة مستقلة وفي أطوار ذلك علم القوم ان عبد الرحمن حفيد هشام الأموي فر من السفاح ولجأ الى قبيله زناتة أعظم قبائل افريقية فطمحت اليه الابصار وتعلقت به القلوب فاستقدموه فقدم وكان فى قرطبة رئيسان من لدن الدولة العباسية يتنازعان السلطة وقيادة العسكر فقاوماه أولا ثم سلما اليه وبايعه أهل الاندلس على الخلافة سنة ١٣٩ فصارت الخلافة خلافتين أموية فى الغرب وعباسية في الشرق

كان الخلفاء الامويون في الاندلس خير خلفاء المسلمين بعد الراشدين وأقرب فى سيرتهم الى الشرع الشريف وأبعدعن الفسوق والبدع التى انغمس فيها الاموي والدمشقي والعباسى والبغدادى

كان عبد الرحمن الاول عادلاً مصلحاً وكان ولده هشام محسناً حليماً كاملاً وكان عبدالرحمن الثاني لجده هشام فى الحلم والعلم والكرم بل زيادة فى الادب

وكان محمد الاول والمنذر وعبد الله عادلين مصلحين . وجاء فى آثارهم عبد الرحمن الثالث فجمع اشتات الفضائل حيث أعطى القوتين العلمية والحربية فاجتهد في رفع منار العلوم والفنون وأدخل فى اسبانيا علوم بغداد وبنى المبانى

العظيمة التي كانت زينة قرطبة ومفخرها وانقاد له المغرب الاقصي

سار هؤلاء الخلفاء سيرة حسنة ولكن الشقاق الذي زرعت شجرته بدمشق وبغداد وامتدت فروعها لما بلي ذلك وكان من طلعها الخبيث الخروج على السلطان وصل أمره الى الاندلس وتلبس بقلوب بعض الامة شره

عهد الخليفة عبد الرحمن لولده الثالث هشام الاول فكبر ذلك على أخويه الكبيرين سليمان وعبد الله فخرجا عليه وحاولا سلب الخلافة منه والاستقلال فى بعض الولايات فتغلب عليهما وعفا عنهما ثم خرجا بعده على ولده الحاكم وطلبا قسمة البلاد

فأحدث هذا وهذا طمع الاستقلال في نفوس العمال وكانوا يخفونه ابان القوة ويستعدون لنوال المطامع سرا وما زالوا يتربصون بالخلفاء الشر حتي بدا فيهم الضعف فأظهروا المضمر وتوالي العصيان والظلم كمين فى النفس القوة تظهره والضعف يخفيه

والظلم من شيم النفوس فان تجد * ذا عفة فلعلة لا يظلم

نشأ العبث والفساد بجهة طرسوس لان واليها كان أشد الولاة فساداً فى أرض الاندلس وشد ساعده سليمان وأخوه عبد الله أولاد عبد الرحمن

ثم اضرم القتال فى شمالي البلاد ولاة سرا قسطه ومريده وطليطلة وجوسقة

ثم توالت الثورات في المملكة حتي أورثتها الخبال والوبال وعصت قرطبة الحكم بن هشام

ويقول علماء التاريخ ان سبب نزول البلاء بالبلاد حصر السلطنة في شخص الخليفة لانه متى كان الامر كذلك يكون الشقاء أقرب للامة من السعادة لانها تابعة لشخص واحد اذا استقام استقامت واذا زل زلت

ويستدلون

ويستدلون ببدإ الضعف والانحطاط من عهد هشام الثاني لسوء تدبيره وبعده عن السياسة وعجزه عن مقاومة الاعداء فانحطت مهابة الخلفاء وضعفت شوكتهم واستفحل أمر الثوار والخارجين وكان النصارى في أثناء ذلك فى تقدم مستمر فى الاعمال الجزئية فتجرؤا على المسلمين وطفقوا يناوشونهم القتال وينتقصون البلاد من اطرافها وأولو الامر مشغولون ببلايا الفتن الداخلية وسائر الناس قسمان العلماء وقد أوغلوا فى فنون الادب ايغالا صرفهم عن كل ما سواه بل قادهم الي الترف والانغماس في النعيم المضعف للنفوس عن الحرب والجهاد ( رأيت فى الجزء الرابع من كتاب نفح الطيب كتابا رفعه لسان الدين بن الخطيب لمقام النبي صلي الله عليه وسلم يستشفع ويستنجد بفيض من فيوضاته والاندلس اذ ذاك محاطة بالعدوّ احاطة المعصم بالسوار يندهش المطلع عليه مما يعتريه من الحيرة بين عبارة الكتاب التى تتمزق لها القلوب من هول ما هى عليه بلاد الاسلام والمسلمين و بين الالفاظ التي نسق بها الكتاب نسقاً يعز على الاديب الا بعد صفاء الخاطر وراحة البال وطول الرياضة وانقطاع الشواغل فلم أدر ماذا أريد بهذا الكتاب أطلب الشفاعة أم اظهار البراعة

والصناع والزراع وهم اتباع كل ناعق لا سيما في الامم التى ليس فيها تربية قومية أمية وليس لها رأي عام وكان من نتيجة ذلك ضياع البلاد والعباد وضعف الدين وتشتت المسلمين وتحول المملكة الى شكل آخر

اما الخلافة الفاطمية فخير خلفائها العزيز فقد كان أديبا شجاعا محبا للرياضة الحربية كالصيد والسباق واشباههما وقد فوض امر الجند الي القائد جوهر فاتح مصر لما رأي فيه من الكفاءة وفوض أمر الوزارة الي الوزير يعقوب

فاحسن هذا الوزير السيرة وحسنت البلاد فى عهده وكان فاضلا مصلحا ولكن لما كان تفويض الامر للآحاد ان جاء بالخير يوما جاء بالشر اياما فانه لم تكد الناس تبشر بالاصلاح حتى ادركته المنية وولى بعده ولده الحاكم وهو حدث لا يتجاوز الاحدي عشرة سنة فطغي الوزير ارجوان وصيه وبغي ولما رشد الحاكم كان رشده عين الغي فقد غشيت العلم والدين والمسلمين والذميين ظلمات من ظلمه واستبداده وكفره وعناده المتولد ذلك كله من مرض فى عقله وخلل فى دماغه

ظهر فى عهده مذهب الضرارية نسبة لرئيسهم ضرار استاذ حمزة فنصرهم الحاكم وادعى الالوهية وفتح سجلا لكتابة اسماء المؤمنين به فكتب بالتسليم له سبعة عشر الفا ولقد كانوا كلهم أوجلهم مكرهين لانه كان ينتقم أشد الانتقام ممن يخالفه

وقد تأسس مذهبه وثبت فى النفوس حتى أصبحت عبادته دينا يدين به كثيرون لليوم فهل كان المسلمون بهذا الاستسلام مهتدين بهدي الاسلام

هذا فضلا عن سفك الدماء بغير ذنب ولا سبب بظلم أهل الذمة بدون سبب يهدم الكنائس فى مصر والقدس ثم يبني كنيسة القمامة على نفقته. ثم يأمر وينهى بما لا يعقل حتي اصبحت الخلافة في عهده ملعبة لاعب

ثم جاء بعده المستنصر وفضلا عن فسقه فقد كانت الامور تدار بيد أمه التي كانت تتلاعب بتغيير الوزراء

وولي بعده الظافر وسنه سبعة عشر سنه ففسق ثم ضاق الامر بوزيره العباس فاغرى ولده هو بقتل الخليفة ففعل وقتل اخويه معه ثم ان الوزير ليبرأ نفسه من تبعة القتل ولتخلص له الخلافة من جميع الوجوه ولي

الفائز

الفائز بن الخليفة المقتول وعمره اذ ذاك خمس سنين وجمع الامراء لمبايعته وحمله على كتفه وأمرهم بالطاعة والانقياد فصاحوا بالاجابة صيحة شديدة فزع لها الخليفة حتي بال على كتف الوزير

الي هذا الحد انحطت درجة الخلافة اوالى هذه الدرجة استهين بها بل انحطت الي أن كانت مصر تعطي للصليبين ضريبة عظيمة في القدس ليكفوا عن الاغارة على غزة وعسقلان وقوي الخلل واستفحل أمره حتى أدبرأمر الخلافة بيد اليهودى مولي الامة السوداء أم المستنصر التى كان اشتراها أبوه الظافر وبيد صالح بن رزبك الارمنى الاصل وغيرهما كما تراه مبينا في مواقعه من كتب التاريخ

ثم أدي هذا الفساد فى البلاد والعباد والولع بالملاهي والغرام بالنساء والبعد عن الدين والسياسة والاقتناع بالسلطة الكاذبة وسماع القتيان والاستمتاع بالحسان وعدم المبالاة بما يتهدد الملك من أعدائه الي ابادة هذا الملك

وانتهي الخلل بمجيء الملك الحازم الكردى صلاح الدين الأيوبي فأزال هذه الخلافة الفاسدة المضرة وأسس الدولة الايوبية وأخضعها للدولة العباسية ليلمّ شعب المسلمين ويوحد كلمتهم

ففاجأته الحروب الصليبية المعروفة وجبر الاسلام على يد هذا الملك بعد ما كسر واشتعلت نيران الحرب .وعلى طول مدتها وكثرة أعداء الدين فيها لم يأخذ بناصر السلطان صلاح الدين لا أموي ولا عباسي بل خب فيها وحده ووضع حتى سهل له الله الفتح الذى لا تزال الايام تنعشه والازمان تحلى به وتفتخر

والعثمانيون فى ذلك الوقت فى شبيبة عزهم وسطوتهم وأوائل نهضتهم ونزعتهم فهل يلامون على قيامهم فى ركن من أركان الارض لاصلاح شيء من أمر هذا الدين والملك الذى قارب بناؤهما أن ينقض وهو تراث كل مسلم

قاموا بعصبية ملك لاغاصبين ولا سالبين فلموا شعث من حولهم وأصلحوا أمور من انضم اليهم حتى لجأت لهم الخلائق مما هم فيه من سوء العذاب من غيرهم .

قاموا بنفوس عاشقة للمجد مجدة فى سبيل الفخار فلازموا الحرب والفتح حتي أن أول سلطان توفى فى القسطنطينية هو السلطان سليم الثاني وهو الحادي عشر من سلاطين آل عثمان والباقى استشهد فى معامع القتال ومواطن الحروب فلم تكن السلطنة فيهم اسما بلا مسمى بل امتدت بالعزة اللائقة بها حتي نفذت سطوتها في بلاد العرب والهند وتوغلت في البلاد الاوروباوية ووقفت سلاطين الاتراك لملوكها خصما يدفع غارتهم عن بلاد الاسلام الى الآن

(من يقدر على تكذيب قائل اذا قال لولا الترك لكانت بلاد الاسلام كلها كاسبانيا . من يقدر يكذبه اذا ادعى أن لا مكة ولا مدينة لولا الاتراك)

ثم توصلوا الي أن أحيوا لقب الخلافة الشريف وجعلوا للمسلمين موئلا وحفظوا بيت الله وقبر نبيه صلي الله عليه وسلم والبيت المقدس وأخذوا على أنفسهم أمر حمايته وحاربوا من أجله وحوربوا ولقوا من أوروبا من العناء والبلاء مالقوا مما لا يحتمله ويصبر عليه الا كل بائع حياته في سبيل الله وحب نصرة دينه . وهم مع كل هذا على ما فطروا عليه غير مبالين بأعدائهم ولا ناكثين عهداً مع من والاهم

فالذى

فالذي يذود هؤلاء عن السلطنة الاسلامية انما يذود مستحقا عن حقه ملكوا ففتحوا وفتحوا فتوسعوا

تأسست دولة الترك في سنة ٦٩٩ هجرية فقام قائمهم المرحوم السلطان عثمان فى بر الاناضول على ما بقى من آثار الدولة السلجوقية التي اندرست في سنة ٦٩٢ فشاد حكومتهم وأسس ولقب بالغازي لشجاعته

وكانما كانت تلك الحروب الصليبية واخفاق مسماها وظهور السلطان صلاح الدين على القائمين بها حتى أركسهم وجعل عاليهم سافلهم بمنزلة الارهاص لظهور دولة الترك ولتشهد تلك الزحوف الاعجمية وبسالتهم وليذوقوا سطوة السيف التركى وليفهموا ان الاتراك اذا أرهفوا اشفار العزائم ووطنوا النفوس على استعذاب الموت لا يشبههم من الشعوب أحد

ابتدأت الفتوحات فافتتحوا فى سنة ٧٢٠ هجرية مدينة بورصه ونقلوا كرسي المملكة اليها وهوجمت اليونان وافتتحت اكثر بلادها وتقدم الجيش التركي حتى أشرف على خليج القسطنطينية وخليج كليبولى ثم اجتازوا بغاز جناق قلعه وفتحت مدينة كليبولي المعتبرة بمثابة مفتاح الاستانة

ثم افتتحوا مدينة أدرنه واقليمى الصرب والبلغار وأخضعوا معظم مقاطعتي مكدونيا وبلاد الارناؤد وشتتوا شمل أهالى الصرب والافلاخ والمجر والبلغار حينما تألبوا عليهم وشقوا عصا الطاعة

ضموا الممالك التركية المستقلة في الاناضول وأعادوا فتح مكدونيا وبلغاريا بعد عصيانهما وزحفوا على قارة أوروبا واستولوا على مدينة سالونيك وشنوا الغارة على المجر

ثم حولوا وجهتهم الي الاستانة وشرعوا فى حصارها وكادوا يفتحونها لولا غارات تيمورلنك المعلومة

ثم نقلوا كرسي سلطنتهم الي أدرنه ورتبوا بحريتهم وأخذوا في محاصرة القسطنطينية وما زالوا بها حتى صالحوا أهلها على دفع الجزية وترك جميع البلاد التي فى ضواحى الاستانة وأن يتنازلوا عن جميع القلاع والحصون التى تحت تصرف الروم على شواطىء البحر الاسود وسواحل الروم ايلى ومملكة تساليا وجميع البلاد التي داخل برزخ كورنتوس وتقدموا حتى دخلوا بلاد موره

الى هنا انحر صبر أوروبا غيظا ولم يحتمل أهلها هذا التقدم السريع والفتوحات المستمرة وأخذ الجزية من أهل القسطنطينية وخشيت على الممالك النصرانية الباقية من سطوة الجيش التركى وشدة بطشه فقامت باول حرب صليبية ضد الاتراك

نهض بهذه الحرب أوجينوس وعقد التحالف بين الدول الافرنجية لمقاومة المسلمين وقام ملك المجر وبولونيا بعساكر النصارى مع يوحنا هوينارس الشهير وكان لهم مع الاتراك معركتان عظيمتان ثبتت فيهما عساكر الترك وصدوهم على قلتهم بكل بسالة وانعقد الصلح بين الفريقين

فلما سكنت تلك الفتن والقلاقل مدة يسيرة قام الملك بورسلاس ونقض الهدنة فاقتتلوا على سواحل البحر الاسود وهزمت جيوش النصارى وقتل ذلك الملك

ثم قاموا الى جهة الارناؤد وأخضعوا ملكها يوحنا وزحفوا على قسطنطين الذي كان اميرا على باقى بلاد المورا والاقاليم المجاورة لها فأخضعوهم بعد حروب طويلة

ثم

ثم تولى بعد ذلك السلطان محمد الثاني الملقب بالفاتح واتت الساعة التي اراد الله استبشار العالم الانساني بعمله الشريف.وهو ذلك الفتح الذي كان حاجة فى نفس كل مسلم كما قدمنا فتح القسطنطينية الذي استقبلت ارواح الشهداء فيه أرواح أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحظائر القدسية بالابتهاج والبشرى.الفتح الذي صعدت فيه أرواح الغزاة ترفرف أسرابا اسرابا متحلية برشاش دم الشهادة متضمخة بمسكه متزينة بخضابه تبشر الاجداد فى برازخ الارواح بنصرة أولادهم المسلمين. الفتح الذي أحيا الدين وامات الشرك

زحف عليها رضى الله عنه بجيشه وعمارته وأحال البر بحرا كما قدمنا من تسيير السفن على اليبس وحاصرها حتى فتحت وهو ساجد لم يرفع رأسه من السجود الا بعد سماع التكبير وحقق الله قول نبيه عليه الصلاة والسلام (لتفتحن القسطنطينية فنعم الامير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش)

لم ينقل كرسي السلطنة العثمانية للقسطنطينية الا وقد ثارت حرب صليبية أخرى هيأها البابا كاليكنوس وحرض لها طوائف المسيحية والامم الافرنجية وأثارهم على محاربة الاتراك فنهضوا له والتقوا معهم في بلغراد وصدوهم وقتل قائد جيش المجر

ثم عادوا للفتح فافتتحوا أثينا واستولوا على مدينة طرابزون وهى المملكة الوحيدة التي كانت باقية من آثار المملكة الشرقية ثم ولاية سنوب وتملكوا اقليم بوسنه وافتتحوا جزيرة أغرنوز من أعمال البندقية ثم زحفوا واستولوا على جانب عظيم من بلاد البغدان وعلى بلاد بولونيا

ثم تنازل السلطان بايزيد لابنه السلطان سليم الاول فقصد جهات العجم

وهزم الفرس واستولى على دمشق وحلب وقصد الديار المصرية واستولي عليها وتشرف باستلام مفتاح الحرمين واحراز اسم الخلافة

ثم زحفوا على جزيرة رودس وبعد ان استولوا عليها عادوا لمحاربة النمسا وحاصروا عاصمتها ( فينا ) واقاموا عليها الحصار ولم يبرحوا حتى عقدوا الصلح معهم واخذوا الجزية منهم

ثم افتتحوا بغداد وتبريز وجملة جزائر في الارخبيل الرومي لجمهورية البندقية وبينما هم يفعلون ذلك كانت جنودهم على شواطىء بلاد العرب تمنع فتوحات البورتغال وتستولى على اراضي عدن وبعض اليمن

ثم استولوا على بلاد تروان وكردستان وطرابلس الغرب وجزيرة قبرص وجزيرة كريد وجزيرة سافس

هذا كله من سنة ١٣٠٠ ميلادية الي سنة ١٦٩٥ تقريبا وهو حال لا تقوى عليه الا الهمم العالية التى احتذت مثال الصدر الاول في اطوارهم وابدوا المبادىء الشريفة وبذلوا ما يجب عليهم من القيام بحماية ما اسند اليهم من أمر الامة

ارتقت درجة الدولة العلية بسلاطينها الى درجة أوجبت أوروبا ان تستعين بها وتلتجيء اليها في حروبها مع بعضها كما فعل كارلوس ملك السويد والنوريج حينما حاربته الروسيا في عهد بطرس الاكبر في سنة ١٦٩٦

فهؤلاء السلاطين هم الذين انسلخت باشعتهم ظلمات الشرك واستبان بوميضهم منهج الدين وان لم يكونوا من صميم العرب وبعيدين عن سروات عدنان وبيوتات قريش ومعادن الخلافة

ولكن ذلك البعد لم يكن في المزايا الانسانية والكمالات البشرية والتزام

حدود

حدود الشرع والاستمساك بعروة الدين وانتهاج نهج السلف الصالح لان هذا بلغوا فيه مبلغا حمل بعض نقاد المؤرخين على إدماج بعضهم فى مصاف الخلفاء

ماذا نقول في دين السلطان صلاح الدين والسلطان نور الدين والسلطان عثمان والسلطان محمد الفاتح وعفتهم وحزمهم ونخوتهم ونجدتهم وزهدهم وتواضعهم وجمعهم بين شهامة الملوك وعظمة السلاطين وبين دعة الزهاد وسكينة النساك مما لو دوّن لكان خير نظام للدول وأحسن قانون تحذو علي مثاله الشعوب والامم فضلا عن كرم الاخلاق وطيب النفوس والوقوف عند حدود الشرع مع معاهديهم حتي تمكنوا بهذه الصفات أن يصدوا غارات اعداء الدين ويفلوا غربهم وينظروا في شؤون البلاد بما يلائم حال أهلها ويسددوا سهامهم فى نحر العدو ويمكنوها من عواليه

ان التصاق بعض هذه المزايا بنفوس العثمانيين وممازجتها لارواحهم يحملنا علي الحكم بدوام دولتهم واقتدارهم على حفظ استقلالهم من صولة الصائل.

وان من أخص غرائز القوم البسالة والحمية وقد هذبهم الملك ودربتهم الآداب واختطوا لانفسهم خطط التقدم وحسن الادارة ولكن كيد أوروبا أوجب عليهم أن يتنكبوها

وقد كثر فى الامة القارئ والكاتب والخطيب والبليغ وسرى حب الوطن فى الله ودارت الكلمة في ضروب كتاباتهم وخطبهم ومؤلفاتهم فالعثمانيون كما قال سياسيهم الشهير المرحوم كمال بيك ( نحن العثمانيين فتحنا القسطنطينية بثلاثة آلاف رجل ولا نسلمها الا اذا بقي منا ذلك العدد) فمها ثقلت الوطأة

واشتدّت الضغطة فانهم صابرون عليها حتي يستخدموا الفرص فلا يغررك سعي الساعين فى ازهاقها ولا يهولنك دأب الاعداء المغررين فى اسقاطها فان حجر الماس لا يفتته صدم ولا يسحقه صك

## الخاتمة

قد بلغنا بالقارئ فيما نظن الغرض من تعريف الحال الذى صرنا اليه وأسبابه . وبيّنا ان دعاة الاصلاح لم يصيبوا المرمى وقد بقي علينا الكلام فى تعيين موضع الداء والبحث عن طريق الدواء وانا مقتصرون فى ذلك على ما نحفظه عن حكيم رأى ما نحن فيه فقال فيه قولا يدل على سبره الامر واختباره الحال فعسانا نبلغ به تذكاراً وعظة واعتباراً يوقف الخواطر على فعل الخير المنتظر ان كانوا من أهل الخير وممن يعرف الحق فيتبعه ويدرك الباطل فيجتنبه

### قال الحكيم

أرأيت أمة من الامم لم تكن شيأ مذكوراً ثم انشق عنها عماء العدم فاذا هي بحمية كل واحد منها كون بديع النظام قوي الاركان شديد البنيان يدور بها سياج من شدة البأس ويحيطها سور من منعة الهمم تخمد في ساحاتها عواصف النوازل وتحل بأيدي مدبريها عقد المشاكل نمت فيها أفنان العزة بعد ما ثبتت أصولها ورسخت جذورها وامتد لها السلطان على البعيد عنها والداني اليها ونفذت منها الشوكة وعلت لها الكلمة وكملت القوّة فاستملت آدابها على الآداب وسادت أخلاقها وعاداتها على ما كان من ذلك لسابقيها ومعاصريها وأحست مشاعر سواها من الامم بأن لا سعادة الّا فى انتهاج منهجها وورود شريعتها وصارت وهي قليلة العدد كثيرة الساحات كأنها للعالم روح مدبر وهو لها بدن

عامل

عامل وبعد هذا كله وهي بناؤها وانتثر منظومها وتفرقت فيها الاهواء وانشقت العصا وتبدد ما كان مجتمعا وانحل ما كان منعقدا وانفصمت عري التعاون وانقطعت روابط التعاضد وانصرفت عزائم أفرادها عما يحفظ وجودها ودار كل في محيط شخصه المحدود بنهايات بدنه لا يلمح في مناظره بارقة من حقوقها الكلية والجزئية وهو في غيبة عن ان ضروريات حاجاته لا تنال الا على أيدي الملتحمين معه بلحمة الامة وانه أحوج الي شد عضدهم من تقوية ساعده والى توفير خيرهم من تنمية رزقه وكأنه بهذه الغيبة في سبات يخيله الناظر اليه صحوا وذبول يظنه المغرور زهوا وأخذ القنوط بآمال أولئك المدهوشين فأبادها وحدثت فيهم قناعة الهمم والرضا بكل حال ولئن تنبه خاطر للحق في خيال أحدهم أو استفزه داع من قلبه الى ما يكسب ملته شرفا أو يعيد لها مجداً عده هوسا وهذيانا أصيب به من ضعف في المزاج أو خلل في البنية أو حسب انه لو أجاب داعي الذمة لعاد عليه بالوبال وأورده موارد الهلكة أو لصار من أقرب الاسباب لزوال نعمته ونكد معيشته ويحكم لنفسه سلاسل من الجبن وأغلالا من اليأس فتغل يداه عن العمل وتقف قدماه عن السعي ويحس بعد ذلك بغاية العجز عن كل ما فيه خيره وصلاحه ويقصر نظره عن درك ما أتى اسلافه من قبله وتجمد قريحته عن فهم ماقام به أولئك الأباء الذين تركوه خليفة على ما كسبوا وقيما على ما أورثوه لاعقابهم ويبلغ هذا المرض من الأمة حدا يشرف بها على الهلاك ويطرحها على فراش الموت فريسة لكل عاد وطعمة لكل طاعم

نعم رأيت كثيرا من الامم لم تكن ثم كانت وارتفعت ثم انحطت وقويت ثم ضعفت وعزت ثم ذلت وصحت ثم مرضت ولكن أليس لكل علة دواء

بلى وأسفاه ما أصعب الداء وما أعز الدواء وما أقل العارفين بطرق العلاج كيف يمكن جمع الكلمة بعد افتراقها وهى لم تفترق الا لان كلا عكف على شأنه * استغفر الله * لو كان له شأن يعكف عليه لما انفصل عن أخيه وهو أشد اعضائه اتصالا به ولكنه صرف لشؤن غيره وهو يظنها من شؤن نفسه

نعم ربما التفت كل الي ماهو فطرة كل حى من ملاحظة حفظ حياته بمادة غذائه وهو لا يدرى من أي وجه يحصلها ولا بأية طريقة يكون فى أمن عليها كيف تبعث الهمم بعد موتها وما ماتت الا بعد ما سكنت زمانا غير قصير الي ما ليس من معاليها. هل من السهل رد التائه الي الصراط المستقيم وهو يعتقد ان الفوز فى سلوك سواه خصوصاً بعد ما استدبر المقصد وفى كل خطوة يظن انه على مقربة من الخطوة كيف يمكن تنبيه المستغرق فى منامه المبتهج باحلامه وفي أذنه وقر وفى ملامسه خدر. هل من صيحة تقرع قلوب الآحاد المتفرقة من أمة عظيمة تتباعد أنحاؤها وتتناءى اطرافها وتتباين عاداتها وطبائعها. هل من نبأة تجمع أهواءها المتفرقة وتوحد آراءها المتخالفة بعد ما تراكم جهل وران غبن وخيل للعقول ان كل قريب بعيد وكل سهل وعر أيم الله انه شيء عسير يعيي فى علاجه النطاسي ويحار فيه الحكيم البصير هل يمكن تعيين الدواء الا بعد الوقوف على أصل الداء وأسبابه الأولي والعوارض التي طرأت عليه ان كان المرض فى أمة فكيف يمكن الوصول الي علله وأسبابه الا بعد معرفة عمرها وما اعتراها فيه من تنقل الاحوال وتنوع الاطوار أيمكن لطبيب يعالج شخصا بعينه ان يختار له نوعا من العلاج قبل ان يعرف ما عرض له من قبل فى حياته ليكون على بينة من حقيقة المرض والا فان كثيرا من الامراض تتولد جراثيمها في طور من أطوار العمر ثم لا تظهر الا

فى

فى طور آخر لتغلب قوة الطبيعة على مادة المرض فلايبدو أثرها

كلا انه ليصعب على الطبيب الماهر تشخيص علة لشخص سنو عمره محدودة وعوارض حياته محصورة فكيف بمن يريد مداواة مدة طويلة الأجل وافرة المدد لهذا يندر فى اجيال وجود بعض رجال يقومون باحياء أمة أو ارجاع شرفها ومجدها اليها وان كان المتشبهون بهم كثيرين وكما ان المتطبب القاصر فى الامراض البدنية لا يزيد علاجه بالمرض الا شدة لو لا مساعدة الاتفاق والصدفة بل ربما يفضي بالمريض الي الموت كذلك يكون حالة الذين يقومون بتعديل اخلاق الامم على غير خبرة تامة بشأنها وموجب أعتلالها ووجوه العلة فيها وانواعها وما يكتنف ذلك من العادات وما يوجد فى افرادها من المذاهب والاعتقادات وحوادثها المتتابعة على اختلاف مواقعها من الارض ومكانتها الاولى من الرفعة ودرجتها الحالية من الضعة وتدرجها فيما بين المنزلتين فان اخطأ طالب اصلاحها في اكتناه شيء مما ذكرنا تحول الدواء داء والوجود فناء فمن له حظ من الكمال الانساني ولم يطمس من قلبه موضع الالهام الالهى لا يجرأ على القيام بما يسمونه تربية الامم واصلاح ما فسد منها وهو يحس من نفسه أدني قصور فى اداء هذا الامر العظيم علما أو عملا نعم يكون ذلك من محبي الفخفخة الباطلة وطلاب العيش في ظل وظائف ليسوا من حقوقها في شئ

ظن اقوام في هذه الازمان أن امراض الامم تعالج بنشر الجرائد وانها تكفل انهاض الهمم وتنبيه الافكار وتقويم الاخلاق كيف يصدق هذا الظن وانا لو فرضنا ان كتاب الجرائد لا يقصدون بما يكتبون الا انجاح الامم مع التنزه عن الاغراض فبعد ماعم الذهول واستولت الدهشة على العقول وقل

القارئون والكاتبون لا تجد لها قارئا ولئن وجدت القاري فقلما تجد الفاهم والفاهم قد يحمل ما يجده على غير ما يراد منه لضيق في التصور أو ميل مع الهوي فلا يكون منه الا سوء التأثير فيحسبه غذاء لا يلائم الطبع فيزيد الضرر اضعافا

على أن الهمة ان كانت فى درك الهبوط فمن يستطيع تفهيمها فائدة الجرائد حتى تتجه منها الرغبات لاستطلاع ما فيها مع قصر المدة وتدفق سيول الحوادث ان هذا وحقك لعزيز

ويظن أقوام آخرون ان الامة المنبثة فى اقطار واسعة من الارض مع تفرق اهوائها واخلادها الى ما دون رتبتها بدرجات لا تحصر ورضاها بالدون من العيش والتماس الشرف بالانتماء لمن ليس من جنسها ولا مشربها بل لمن كان خاضعا لسيادتها راضخا لاحكامها مع هذا كله يتم شفاؤها من هذه الامراض القاتلة بانشاء المدارس العمومية دفعة واحدة في كل بقعة من بقاعها وتكون على الطرز الجديد المعروف باوروبا حتي تعم المعارف جميع الافراد في زمن قريب ومتي عمت المعارف كملت الاخلاق واتحدت الكلمة واجتمعت القوة وما أبعد ما يظنون فان هذا العمل العظيم انما يقوم به سلطان قوي قاهر للأمة على ما تكره ازمانا حتى تذوق لذته وتجنى ثمرته ثم يكون ميلها الصادق من بعد نائبا عن سلطته فى تنفيذ ما أراد من خيرها ويلزم له ثروة وافرة تفي بنفقات تلك المدارس وهي كثيرة وموضوع كلامنا فى الضعف ودوائه فهل مع الضعف سلطة تقهر وثروة تغنى ولو كان للامة هذان لما عدت من الساقطين

فان قالوا يمكن التدريج مع الاستمرار والثبات وافقناهم على الامكان

لولا

لولا ما يكون من طمع الاقوياء حتى لا يدعوا لها سبيلا لان يستنشقوا نسيم القوة فاين الزمان لنجاح تلك الوسائل الطيبة الاثر

على انا لو فرضنا مسالمة الدهر ومنحت الامة مدة من الزمان تكفي ابث تلك العلوم فى بعض الافراد والاستزادة منها شيأ فشيأ فهل يصح الحكم بان هذا التدرج يفيدها فائدة جوهرية وان ما يصيبه البعض منها يهيئه للكمال اللائق به ويمكنه من القيام بارشاد الباقى من أبناء أمته

واعجبا كيف يكون هذا وان الامة فى بعد عن معرفة تلك العلوم الغريبة عنها وكيف بذرت بذورها وكيف نبتت واستوت على سوقها واثمرت واينعت وبأى ماء سقيت وباي تربة غذيت ولا وقوف لها على الغاية التي قصدت منها فى مناشئها ولا خبرة لها بما يترتب عليها من الثمرات وان دخل اليها طرف من ذلك فانما يكون ظاهرا من القول لا انبأ عن الحقيقة فهل مع هذا يصيب الظن بان مفاجأة بعض الأفراد بها وسوقها الي اذهانهم المشحونة بغيرها يقوم من أفكارهم ويعدل من أخلاقهم ويهديهم طرق الرشاد في افادة اخوانهم

لعل الاقرب ان ناقلى تلك العلوم وهم من أمة هذا شأنها مع ماينعكس اليهم من الاوهام المألوفة فيها وما رسخ فى نفوسهم على عهد الصبا وما يعظمونه من أمر الامة التي تلقوا عنها علومهم يكونون بين أمتهم كخلط غريب لا يزيد طبائعها الا فسادا

ماذا يكون من أولئك الناشئين فى علوم لم تكن ينابيعها من صدورهم ولو صدقوا فى خدمة أوطانهم يكون منهم ما تعطيه حالهم يؤدون ما تعلموه كما سمعوه لا يراعون فيه النسبة بينه وبين مشارب الامة وطباعها وما مرنت عليه من عاداتها فيستعملونه على غير وضعه ولبعدهم عن أصله ولهوهم

القارئون والكاتبون لا تجد لها قارئا ولئن وجدت القارئ فقلما تجد الفاهم والفاهم قد يحمل ما يجده على غير ما يراد منه لضيق في التصور أو ميل مع الهوى فلا يكون منه الا سوء التأثير فيحسبه غذاء لا يلائم الطبع فيزيد الضرر اضعافا

على أن الهمة ان كانت فى درك الهبوط فمن يستطيع تفهيمها فائدة الجرائد حتى تتجه منها الرغبات لاستطلاع ما فيها مع قصر المدة وتدفق سيول الحوادث ان هذا وحقك لعزيز

ويظن أقوام آخرون ان الامة المنبثة فى اقطار واسعة من الارض مع تفرق اهوائها واخلادها الى ما دون رتبتها بدرجات لا تحصر ورضاها بالدون من العيش والتماس الشرف بالانتماء لمن ليس من جنسها ولا مشربها بل لمن كان خاضعا لسيادتها راضخا لاحكامها مع هذا كله يتم شفاؤها من هذه الامراض القاتلة بانشاء المدارس العمومية دفعة واحدة في كل بقعة من بقاعها وتكون على الطرز الجديد المعروف باوروبا حتي تعم المعارف جميع الافراد في زمن قريب ومتي عمت المعارف كملت الاخلاق واتحدت الكلمة واجتمعت القوة وما أبعد ما يظنون فان هذا العمل العظيم انما يقوم به سلطان قوي قاهر للأمة على ما تكره ازمانا حتى تذوق لذته وتجنى ثمرته ثم يكون ميلها الصادق من بعد نائباً عن سلطته فى تنفيذ ما أراد من خيرها ويلزم له ثروة وافرة تفي بنفقات تلك المدارس وهي كثيرة وموضوع كلامنا فى الضعف ودوائه فهل مع الضعف سلطة تقهر وثروة تغنى ولو كان للامة هذان لما عدت من الساقطين

فان قالوا يمكن التدريج مع الاستمرار والثبات وافقناهم على الامكان

لولا

لولا ما يكون من طمع الاقوياء حتى لا يدعوا لها سبيلا لان يستنشقوا نسيم القوة فاين الزمان لنجاح تلك الوسائل الطبية الاثر

على انا لو فرضنا مسالمة الدهر ومنحت الامة مدة من الزمان تكفي لبث تلك العلوم فى بعض الافراد والاستزادة منها شيأ فشيأ فهل يصح الحكم بان هذا التدرج يفيدها فائدة جوهرية وانما يصيبه البعض منها يهيئه للكمال اللائق به ويمكنه من القيام بارشاد الباقى من أبناء أمته

واعجبا كيف يكون هذا وان الامة فى بعد عن معرفة تلك العلوم الغريبة عنها وكيف بذرت بذورها وكيف نبتت واستوت على سوقها واثمرت واينعت وبأى ماء سقيت وباي تربة غذيت ولا وقوف لها على الغاية التي قصدت منها فى مناشئها ولا خبرة لها بما يترتب عليها من الثمرات وان دخل اليها طرف من ذلك فانما يكون ظاهرا من القول لا انبأ عن الحقيقة فهل مع هذا يصيب الظن بان مفاجأة بعض الأفراد بها وسوقها الي اذهانهم المشحونة بغيرها يقوم من أفكارهم ويعدل من أخلاقهم ويهديهم طرق الرشاد في افادة اخوانهم

لعل الاقرب ان ناقلى تلك العلوم وهم من أمة هذا شأنها مع ماينعكس اليهم من الاوهام المألوفة فيها وما رسخ فى نفوسهم على عهد الصبا وما يعظمونه من أمر الامة التي تلقوا عنها علومهم يكونون بين أمتهم كخلط غريب لا يزيد طبائعها الا فسادا

ماذا يكون من أولئك الناشئين فى علوم لم تكن ينابيعها من صدورهم ولو صدقوا فى خدمة أوطانهم يكون منهم ما تعطيه حالهم يؤدون ما تعلموه كما سمعوه لا يراعون فيه النسبة بينه وبين مشارب الامة وطباعها وما مرنت عليه من عاداتها فيستعملونه على غير وضعه ولبعدهم عن أصله ولهوهم

بحاضره عن ماضيه وغفلتهم عن آتيه يظنونه على ما بلغهم هو الكمال لكل نفس والحياة لكل روح فيرومون من الصغير ما لا يرام الا من الكبير وبالعكس غير ناظرين الا الي صور ما تعلموه ولا مفكرين في استعداد من بمرض عليهم وهل يكون له من طباعهم مكان يحمد أو يزيدها علي ما بها اضعافا وما هذا الا لكونهم ليسوا أربابها وانما هم لها نقلة وحملة

فهؤلاء الصادفون الآن من وفقهم الله منهم بعنايته الآلهية يكون مثلهم كمثل والدة حنونة يلذ لها غذاء فتفيض منه على ولدها وهو رضيع ليسا همها في اللذة وسنه سن اللبان لا يقبل سواه فيسرع اليه المرض وينتهي به الى التلف فتكون منزلتهم من الامة منزلة الآلة المحللة . يشتتون بقية الجمع ويبددون أخريات الالتئام ان كان الفساد أبقى للقوم بعض الروابط فهؤلاء المغررون يغشونهم بما يذهلهم عنها وما قصدوا الآخيراً ان كانوا مخلصين ويوسعون بذلك الخصاص حتى تعود نفعلهم أبوابا ويباعدون ما بين الصفاف حتي تصير ميادين لتداخل الاجانب تحت اسم النصحاء وعنوان المصلحين ويذهبون بامتهم الى الفناء والاضمحلال وبئس المصير

شيد العثمانيون والمصريون عدداً من المدارس على النمط الجديد وبعثوا بطوائف منهم الى البلاد الغربية ليحملوا اليهم ما يحتاجون له من العلوم والمعارف والصنائع والآداب وكل ما يسمونه تمدنا وهو في الحقيقة تمدن للبلاد التي نشأ فيها على نظام الطبيعة وسير الاجتماع الانساني.هل انتفع المصريون والعثمانيون بما قدموا لانفسهم من ذلك وقد مضت عليهم أزمان غير قصيرة هل هم أحسن حالا مما كانوا عليه قبل التمسك بهذا الحبل الجديد

هل استنقذوا أنفسهم من أنياب الفقر والفاقة

هل

هل نجوا بها من ورطات ما يلجئهم اليه الاجانب بتصرفاتهم

هل أحكموا الحصون وسدوا الثغور

هل نالوا بها من المنعة ما يدفع عنهم غارة الاعداء عليهم

هل بلغوا من البصر بالعواقب والتصرف فى الافكار حدا يحل عزائم الطامعين عنهم

هل وجدت فيهم قلوب ما زجتها روح الحياة الوطنية فهى تؤثر مصلحة البلاد على كل مصلحة وتطلبها وان تجاوزت محيط الحياة الدنيا وان بادت فى سبيلها خلفها ورأت على شاكلتها كما كان في كثير من الامم

نعم ربما يوجد بينهم أفراد يتفيقهون بألفاظ الحرية والوطنية والجنسية وما شاكلها ويصوغونها في عبارات متقطعة بترآءلا تعرف غاياتها ولا تعلم بدايتها ووسموا أنفسهم زعماء الحرية أو بسمة أخري على حسب ما يختارون ووقفوا عند هذا الحد ومنهم آخرون عمدوا الى العمل بما وصل اليهم من العلم فقلبوا أوضاع المبانى والمساكن وبدلوا هيآت المآكل والملابس والفرش والآنية وسائر الماعون وتنافسوا في تطبيقها على أجود ما يكون منها فى الممالك الاجنبية وعدوها من مفاخرهم وعرضوها معرض المباهات فنسفوا بذلك ثروتهم الي غير بلادهم واعتاضوا أعراض الزينة مما يروق منظره ولا يحمد أثره فأماتوا أرباب الصنائع من قومهم وأهلكوا العاملين فى المهن بعدم اقتدارهم أن يقوموا بكل ما تستدعيه تلك العلوم الجديدة والكماليات الجديدة لان مصانعهم لم تحول الى الطراز الجديد وأيديهم لم تتعود على الصنع الجديد وثروتهم لا تسع جلب الآلات الجديدة من البلاد البعيدة وهذا جدع لانف الامة يشوه وجهها ويحط بشأنها وما كان هذا الا لان تلك العلوم

وضعت فيهم على غير أساسها وفجأتهم قبل أوانها.

علمتنا التجارب ونطقت مواضي الحوادث بأن المقلدين من كل أمة المنتحلين أطوار غيرها يكونون فيها منافذ وكوي لتطرق الاعداء اليها وتكون مداركهم مهابط الوساوس ومخازن الدسائس بل يكونون بما أفعمت أفئدتهم من تعظيم الذين قلدوهم واحتقار من لم يكن على مثالهم مشؤما على أبناء أمتهم يذلونهم ويحقرون أمرهم ويستهينون بجميع أعمالهم وان جلت وان بقي في بعض رجال الامة بقية من الشمم أو نزوع الي معالي الهمم انصبوا عليه وأرغموا من أنفه حتى يمحى أثر الشهامة وتخمد حرارة الغيرة ويصير أولئك المقلدون طلائع لجيوش الغالبين وأرباب الغارات يمهدون لهم السبل ويفتحون الابواب ثم يثبتون أقدامهم ويمكنون سلطتهم ذلك بأنهم لا يعلمون فضلا لغيرهم ولا يظنون ان قوة تغالب قواهم

أقول ولا أخشى لوما لو كان في البلاد الافغانية عدد قليل من تلك الطلائع عند ما تغلب على بعض أراضيها الانكليز لما بارحوها أبد الآبدين فان نتيجة العلم عند هؤلاء ليست الا توطيد المسالك والركون الى قوة مقلديهم واستقبال مشارق فنونهم فيبالغون في تطمين النفوس وتسكين القلوب حتي يزايلوا الوحشة التي قد يصون بها الناس حقوقهم ويحفظون بها استقلالهم ولهذا لو طرق الاجانب أرضاً لأية أمة تري هؤلاء المتعلمين فيها يقبلون عليهم ويعرضون أنفسهم لخدمتهم بعد الاستبشار بقدومهم ويكونون بطانة لهم ومواضع لثقتهم كأنما هم منهم ويعدون الغلبة الاجنبية في بلادهم مباركة عليهم وعلى أعقابهم

فما الحيلة وما الوسيلة والجرائد بعيدة الفائدة بعيدة الاثر لو صحت الضمائر

فيها

فيها والعلوم الجديدة لسوء استعمالها رأينا مارأينا من آثارها والوقت ضيق والخطب شديد. أي جهوري من الاصوات يوقظ الراقدين على حشايا الغفلات أي قاصفة تزعج الطباع الجامدة وتحرك الافكار الخامدة. أي نفخة تبعث هذه الارواح في أجسادها وتحشرها الي مواقف صلاحها وفلاحها

الاقطار فسيحة الجوانب بعيدة المناكب . المواصلات عسرة بين الشرقي والغربي والجنوبي والشمالي والرؤس مطرقة الى ماتحت القدم أو منغضة الى ما فوق السماء ليس للابصار جولان الي الامام والخلف واليمين والشمال ولا للاسماع اصغاء ولا للنفوس رغبات وللاهواء تحكم وللوساوس شيطان . ماذا يصنع المشفقون على الامة والزمن قصير. ماذا يحاولون والافكار محدقة بهم بأي سبب يتمسكون ورسل المنايا على أبوابهم لا أطيل عليك بحثاً ولا أذهب بك في مجالات بعيدة من البيان ولكني أستلفت نظرك الى سبب يجمع الاسباب ووسيلة تحيط بالوسائل أرسل طرفك الي نشأة الامة التي خملت بعد النباهة وضعفت بعد القوة واسترقت بعد السيادة وضيمت بعد المنعة وتبين اسباب نهوضها الاول حتى تتبين مضارب الخلل وجراثيم العلل فقد يكون ماجمع كلمتها وأنهض همم آحادها ولحم مابين أفرادها وصعد بها الي مكانة تشرف منها على رؤس الامم وتسوسهم وهي في مقامها بدقيق حكمتها انما هو دين قويم الاصول محكم القواعد شامل لانواع الحكم باعث على الالفة داع الى المحبة مزك للنفوس مطهر للقلوب من أدران الخسائس منور للعقول باشراق الحق من مطالع قضاياه كافل لكل مايحتاج اليه الانسان من مباني الاجتماعات البشرية وحافظ وجودها وينادى بمتعديه الي جميع فروع المدنية * فان كانت هذه شرعتها ولها وردت وعنها صدرت فما تراه من

عارض خللها وهبوطها عن مكانتها انما يكون من طرح تلك الاصول ونبذها ظهريا وحدوث بدع ليست منها فى شى اقامها المقتقدون مقام الاصول الثابتة واعرضوا عما يرشد اليه الدين وعما اتي لاجله وما أعدته الحكمة الالهية له حتى لم يبق منه الا أسماء تذكر وعبارات تقرأ فتكون هذه المحدثات حجابا بين الامة وبين الحق الذي تشعر بندائه احيانا بين جوانحها * فعلاجها الناجع انما يكون برجوعها الى قواعد دينها والأخذ باحكامه على ما كان فى بدايته وارشاد العامة بمواعظه الوافية بتطهير القلوب وتهذيب الاخلاق وايقاد نيران الغيرة وجمع الكلمة وبيع الارواح لشرف الامة ولان جرثومة الدين متأصلة في النفوس بالوراثة من احقاب طويلة والقلوب مطمئنة اليه وفي زواياها نور خفى من محبته فلا يحتاج القائم باحياء الامة الا الى نفخة واحدة يسري نفثها في جميع الارواح لاقرب وقت فاذا قاموا لشؤونهم ووضعوا أقدامهم على طريق نجاحهم وجعلوا أصول دينهم الحقة نصب أعينهم فلا يعجزهم بعد أن يبلغوا بسيرهم منتهي الكمال الانساني ومن طلب اصلاح أمة شانها ماذكرنا بوسيلة سوي هذه فقد ركب بها شططا وجعل النهاية بداية وانعكست التربية وخالف فيها نظام الوجود فينعكس عليه القصد ولا يزيد الامة الا نحسا ولا يكسبها الا تعسا * هل تعجب أيها القاىء من قولى ان الاصول الدينية الحقة المبرأة من محدثات البدع تنشئ للامم قوة الاتحاد وائتلاف الشمل وتفضيل الشرف على لذة الحياة وتبعثها على اقتناء الفضائل وتوسيع دائرة المعارف وتنتهى بها الي اقصى غاية فى المدنية * ان عجبت فان عجبي من عجبك اشد هل نسيت تاريخ الامة العربية وما كانت عليه قبل بعثه الدين من الهمجية والشتات واتيان الدنايا والمنكرات حتى اذا جاءها الدين فوحدها وقواها وهذبها ونور عقولها وقوم اخلاقها

وسدد

وسدد احكامها فسادت على العالم وساست من تولته بسياسة العدل والانصاف وبعد ان كانت عقول أبنائها في غفلة عن لوازم المدنية ومقضياتها نبهتها شريعتها وآيات دينها الى طلب الفنون المتنوعة والتبحر فيها ونقلوا الي بلادهم طب بقراط وجالينوس وهندسة اقليدس وهيئة بطليموس وحكمة افلاطون وارسطو وما كانوا قبل الدين في شيء من هذا وكل امة سادت تحت هذا اللواء اذ كانت قوتها ومدنيتها فى التمسك باصول دينها اهـ

وقد جاءت الحوادث مصدقة لما قاله هذا الحكيم لان الباحث فى امر المسلمين يجد لاول وهلة ان لا خلاف في أن الشعوب الاسلامية في أسوإ الاحوال ويرى البلايا والنوائب المحاطة بهم من كل مكان متحدة ومتفقة وسريان عامل الفساد والانقلاب الموجب للتنازع والخلاف الداعي لتغيير فطرتها الروحية واحد وانفكاك الرابطة الجامعة المنحلة بالتراخي والانحرف عن اجابة داعي العقل الي الوفاق والاتحاد حاصل بشهوة واحدة واتجاه واحد * ويري ان كل امة من الملل أخذت تترقى فى هذا العصر باوفر نصيب الا الملة الاسلامية ظاهر ذلك على صفحات الجرائد وألسنة التلغرافات واخبار البريد ورواة الاحاديث على اختلاق طبقاتهم وعاداتهم ودياناتهم ومواقعهم من الارض

فالوثنيون لهم دولة قويه قامت وجارت اوروبا وسايرتها خطوة بخطوة وضربت معها بكل سهم وهي أعز دولة شرقية الآن الاوهى اليابان * تراها مجدة فى طريق المدنية وقد الغت الامتيازات التى هى فى الحقيقة ونفس الامر حكومة داخل حكومة * والحبشة وهي الامة التى ترميها اهل المدنية بالتوحش عقدت العقود وكتبت العهود ووقفت لاكثر من دولة من الدول وقهرتها

وتمرضت لمن ناواها من الدول الاوروباوية وظفرت بكل ماطلبته فى سلم وحرب * فان كان فى الشرق روح خبيث يحول دون الشرقي كما يتوهم المتوهمون فلماذا لم يلامس هذا الروح غير المسلمين أليس من ذكرناهم شرقيين * أليس اليهود وهم جماعات قد سابقوا حكومات أوروبا ولم يتوقفوا على حكومة ونهضوا حتى ملكوا المراتب والوظائف فضلا عن معرفة سبل الكسب باسبابه ووسائله وأوروبا الآن تتبرم منهم وتضطهدهم بكل مكان متبوّؤن كل قطر وكل قطر بلادهم * لا بد من التسليم لذلك الحكيم بان انحطاط هذه الملة اتى من مفارقة علة ارتقائها ونشأتها وتقدمها وهو الدين الذي جمع الكلمة وانهض الآحاد * ولم يكن من جهة اختلاف طبائع الاقطار لانهم يسكنون كل أرض ويتبوّؤن كل قطر ومن بلادهم الحار والبارد والمتوسط والمعتدل

ان أصول الاديان وتعاليمها وآدابها كلها صحيحة متينة وهى فى الديانة الاسلامية أصح وأمتن وهي الاس المتين لجمع الكلمة مع ارتقاء الآخذين بها الي أوج الفضائل والاشراف على جميع الناس وفيها الهداية التامة لانواع العلوم والفنون ولا خلاف فى ان انحراف المسلمين عن جادتها هو الذي سلبهم ما كسبوا فلا سبيل لارجاع سيادتهم واجتماع كلمتهم الا رجوعهم اليها

ان لم يكن هذا الانخذال سببه مفارقة الدين عرفني كيف تفعل شرذمة ما لا تقدر مئات من الملايين ان تفعله لاجرم اما ان تكون هذه الشرذمة ارتقت عن أفق الانسانية الى عالم سماوى أعلى أو تكون تلك الملايين انحطت عن أفقها الانسانى الي أفق البهائم العجماوات يذهل المتفكر اذا أمعن النظر فى جيش لا يزيد عن العشرين الفا فى عهد الدولة الاموية يفتتح البلاد تحت قيادة قتيبة بن مسلم الباهلى الي ان يصل كاشغر ببلاد الصين وبين ان يرى

تسعة

تسعة ملايين من الجاوة مثلا كلهم شوافع لا يتوسطهم خارجي ولا يتبطنهم شيعي مستسلمين لثمانية آلاف عسكري هولاندي أو سبعين مليونا من المسلمين في الهند محكومين بكذا عسكري انكليزي كيف لا يحكم بان اسلام هؤلاء غير أولئك والا لتناسبت الطباع بين الطرفين

والذي يريد احياء تعاليم الدين وفضائله وآدابه لا يحتاج للحرب ولا بتكليف الخوارق والمعجزات لان الدين يراد احياؤه فيهم معتقدون بان جميع ما جاء به حق وان معجزة القرآن باقية الي الابد وانما الذي يصد عن الارشاد والتعليم هي بذور الشقاق الغربية التي تبذرها الاجانب بين المسلمين وهذه لا نتكلف لدفعها بشيء غير عدم الالتفات اليها والتحقق بانها زخرف باطل وشهوات تغلب على الارواح فتكتنفها ولا تزال بها حتى تورثها الخمول والخمود وتسير بها في طريق الفجور والشرور وتفتح عليها أبواب الخراب والدمار

يكفينا اعتقاد العلماء ان هذا الاصلاح مطلوب منهم وموكول لهم وهم المسؤلون عنه بين يدى الخالق والمخلوق فيشربوا قلوب القوم معاني الدين الحقيقية حتى تستعد ضعفاء الابدان لتلقي روح الحياة فيجتمع شرقيهم وغربيهم ويعيدون اليهم مجدهم

يلافون البدع والتعاليم الفاسدة التي جعلت المسلمين شيعا واذاقت بعضهم بأس بعض ولا تزال تزيد في الامة تفريقا حتى زعزعت العقائد وافسدت الآداب وجرأت الناس على استباحة المحظورات واصبح بها اقبح الاثر في العوائد والاعمال والاخلاق

يحلف كل من وقف على اسباب انتشار الدين الاسلامي بان هذا الدين ضيعته اصحابه ولو وجد دعاة لما بقي صنم يعبد ولا هيكل يقصد ولا بيعة تشاد

ولا كنيسة تقام ولظل الناس يدخلون فيه افواجا من الملل حتي لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله

مصاب وأي مصاب ان اصحاب هـذا الدين الشريف لم يكتفوا بعدم الدعوة اليه حتي اوقفوا سيره باقوالهم واعمالهم المخالفة لهديه

صار الحمل ثقيلا على اكتاف المسلمين واصبحوا مسخرين للاوروباويين لانهم انسوهم بما حملوه اليهم من تقاليدهم وتماليمهم الغلظة الدينية المأمورين بها وذموا لهم الدين وانسوهم آدابه حتي صار لا يستأنس منهم عقل ولا رشد اضاعوا فهر الغلبة وقهر الحجة وقبلوا الاهانة فى دينهم ودنياهم

أى رجل معتوه يقول ان أوروبا تاركة لدينها وتقاليدها القديمة ونصائح رؤساء الاديان فيها ان أوروبا تعض على دينها بالنواجذ ولم تصل الي ما وصلت اليه بالعلل الظاهرة لنا التى هي عبارة عن تعليم الفنون وتلقي العلوم الا بعد اصلاح ذاتهم فى خاصة انفسهم بالاصلاح الديني الذى هو رأس الحكمة والصلاح

بلغ مقدار اعتناء المسيحيين بامر دينهم ان جبانة مدينة بيشه فى مملكة ايتاليا المسماة (كامبوسانتو) أى الميدان المقدس فى وسـطها مربع طينه كله مجلوب من أرض اورشليم جلبوه على المراكب تبركا بتلك الطينة المقدسة يزرعون فيها الازهار والاعشاب التى تراح بها مقابر موتاهم

واعجب من هذا الكنائس الطوافة التي تمخر في الانهر مثل ما يشاهد دواما فى نهر السين بين بون دى لو كونكاروبين دي سلفريتو وهـذه الكنائس مرسلة من قبل الجمعية الانجيلية البريطانية بغية ان يصلى فيها الذين هم فى حاجة الي المعابد من القائمين على ضفاف الانهر والكنائس بعيدة عنهم

تأمل لعلاقات الشعوب البلقانية مع رؤسائهم ديانة وسياسة وانظر لعلاقة

ايرلاندا

ايرلاندا مع فرانسا من جهة المعتقد ثم سرح الطرف فى امر الحرب الاميريكانية الاسبانيوليه واثرها المخلف عند أمتي الحريه انكلترا وفرنسا فقد كان ضلع الاولى مع الاول والثانية مع الثانية

ان عوامل السياسة مهما انحرفت فنصائح أرباب الدين وعلاقة الدين فى القلوب لا تزول

كل هـذا كان يدعو أهل العـلم ان يهتموا بامر الدين وينبهوا الخواطر والنفوس حتي يرد هذا السيل الجارف الذي أحاط بالملة

اذا كان جماعة ( تركيا الفتاة) دعاة للاصلاح وأهل بصر بالنظر فى شؤون الامة والسـير بها لي طريق يؤدي الي مواطن الراحة والسعادة كما يقولون وقد ارادوا ان ينالوا بعملهم هذا سعادة الحياة وحياة السعادة لا يحلون عقدا ولا ينكثون عهدا فما بالهم يثيرون احقادا كامنة من ورائها ضرام وأي ضرام ويطيب لهم النوم على هذه المزعجات التي نراها بل ما بالهم يزيدون في الطين بلة ويظهرون من المعاتب ما خفى ويفترون على الدولة الكذب

تحسبهم احرارا وهم عبيد ينفذون ارادة غيرهم جاعلين الاجنبي وصـيا عليهم فى عملهم لانهم دعاة لاوروبا مؤيدين لسياستها ولولا ذلك لم يحتجوا على فساد سياسة الدولة والسلطان بحوادث الارمن التى سمع الاصم وشاهد الاعمي تدبيرها بيد الاعداء لقلب كيان الدولة

قاموا بدعوتهم ولم يجدوا لهم وجهة الا أوروبا ومصر ولم ندر كيف تنصرهم أوروبا ان كانوا على الحق أو كيف يكونون من أهـل الحق وهم يعضدون مطالبها

ان أوروبا لو كانت وقفت نفسها لازالة كل فساد كما تقول فلم لم تعرض

لاغاثة أهالي كوبا كما تعرضت لاغاثة أهالي كريد على ان الظلم فى كوبا كان مما لا ريب فيه لان حمل أهلها على العصيان والظلم فى كريد مزعوم به لان نيران الثورة التى شبت بالدسائس التي صادفت النفوس الخبيثة المجبولة على على الفتن والشغب كما وصفهم اكابر المسيحيين ومنهم المقدس بولس فى رسائله فراجعها ان شئت

لا يخدع الانسان بانتصار بعض الدول للدولة فى مسائل مخصوصة كحرب القرم أو اخضاع محمد على باشا في مصر فذلك لاسباب مخصوصة مقصورة نص عليها المؤرخون المدققون وظهرت نتائجها كما قالوا ومنها ابتلاع مصر وغيرها

أما مصر فقد اصبحت فى حال لا تصلح معه لا لحل ولا لعقد فما الذي يبغونه من أهلها وهم مغلوبون على أمرهم لو أرادوا الخير ما قدروا عليه لاشك انهم تخيروها لان هذا النعيق يسر الانكليز دوامه ليشغل الدولة عن أعمالها فى مصر وان كان فى وسط قوم لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا

انقطع الامل من أهل أفريقيا لان اغلبهم اصبحوا لا يتأدبون الا بآداب الاوروباويين وقد هجروا آداب الدين والائتمار باوامره ونواهيه واصبحوا لا يفتخرون الا بفضائل أوروبا ومناقبها ( كمصر وتونس والجزائر ) وباقيهم على الهمجية والجاهلية كالسودان والمغرب وما بينهما بعيدون عن التأثر بالفجيعة التي نحن فيها

فان كانت جماعة تركيا الفتاة تريد الاصلاح حقيقة وتحتمل عبء الدعوة والقيام فعليها بالقوم الذين فيهم جوامع الفضائل التي تتكون بها الامم وتقوم بها الدول . ولن تجد ذلك الا فى قارة آسيا . مهبط النبوات ومنبت جراثيم

الخير

الخير والسعادة فيها ثلاثة واربعون مليونا من النفوس الشريفة كلهم أحناف من سلالة المغول اولئك اللذين دكو الرواسي ودوخوا الممالك بالعزائم القويمة وزعزعوا عروش السلاطين وانتهبوا ثمرات الايام ولم يرضخوا للذل والهوان ولم تلامس ارواحهم خصال السوء كالجبن والرياء والكبر والنفاق والكذب والوقاحة والخيانة واشباه ذلك مما اشتهرت به طوائف السلمين فى الشرق واصبح علما لهم عند اوروبا وسمة يعرفون بها

ماذا على دعاة الاصلاح لو ضموا هذه القلوب الى قلوب العثمانيين ولحموا بينها بلحمة النسب والدين والجنس بل بلحمة جامعة المصيبة التى تجمع العدو مع عدوه فضلا عن اليقين

ماذا على دعاة الاصلاح لو ذكروا هؤلاء بسلطنتهم العظيمة المعروفة بسلطنة كيوجاك التي أسسها أحدهم باتوخان بن زعيمهم جنكيز خان فى القسم الجنوبى من الروسيا فى القرن الثالث عشر من الميلاد. ماذا عليهم لو ذكروهم بما صارت اليه دولة الروسيا في ذلك الوقت من الاضمحلال حتي عبر عنها مؤرخو تلك الاجيال بانها صارت مملكة تترية * وكيف لا تكون كذلك ولم يبق منها مستقلا الا مدينة موسقو التي تأسست سنة ١١٤٧ ميلادية

ماذا عليهم لو ذكروهم بالخراج الذى حملته الروسيا الي خاناتهم خانات التتر عن يدوهم صاغرون مدة اكثر من قرنين من سنة ١٣٤٠ الى سنة ١٤١٨

ماذا عليهم لو ذكروهم بحقيقة امرهم وعرفوهم ان القائم العثمانى واحد منهم وان الملة ملتهم وما أحراهم ان ينضم الجنس للجنس

ماذا عليهم لو كشفوا لهم عن معالم الحقائق التي حجبها التضليل والتمويه وأظهروا لهم صور اليقين التي تنكرت على أبصارهم وأرشدوهم الي مايحتاجون

اليه من آداب واصلاح بحال

ربما يطوف فى نفوس القوم طائف الغيرة على بلادهم وقومهم وأصل شعبهم بعد هذا اليأس والقنوط المستمر وينتبهون فينظرون الى هذه الاعمال التي أطمعت الاجانب فى البلاد حتي نازعتنا أسباب الحياة والبقاء وساهمتنا فى الماء والهواء

ربما حملتهم النصيحة الى انتهاج منهج الاصلاح بعد ان انخدعوا وقاموا فطالبوا الذين استأثروا بجميع المنافع واماتوا فينا كل كمال من لغة وجنسية وادب ودين ونفوذ وصناعة وتجارة وافقدوا الامة استقلالها حتى هوت في هاوية اليأس وتقطعت بها أسباب الرجاء

ربما عملوا للوطن والامة خيرا لانهم أمة مجتمعة ( والعمل للوطن من خواص الامم المجتمعة ) ولم تضرب بينهم أوروبا بسور التقاطع والحقد والحسد والبغضاء ولم يكونوا امشاجاً واخلاطاً من أجناس وشعوب شتى مثل بقية طوائف المسلمين

هناك موضع الدعوة بين الذين سبق لهم القبض على ازمة المنافع وامتلاك البلاد ولهم عناية كبري بهذا الامر وفيهم خميرة تكوين الممالك والامم قولا وعملا ولذة الغلبة نصب اعينهم لاتفوتهم أبداً

كل فرد من أفرادهم مغروس في قلبه حب حياة امته وبلاده والعمل لشرف وطنه فلو انهم يرشدون الى الخير الذى سترت ابوابه الاعداء الالداء ويستبين لهم الحد الذي يجب أن يقفوا عنده من جمع الكلمة واستنهاض النفوس لوجدت قويهم أعان ضعيفهم وغنيهم أمد فقيرهم وراشدهم هدي ضالهم وعالمهم علم جاهلهم حتى يضعوا لانفسهم حدوداً ويشرعوا في

تذكير

تذكير اعمالهم السابقة ويقوموا فيها بما ترشدهم اليه فطرتهم الطبيعية لم تذهب ولن تذهب منهم تلك الملكات الفاضلة كالصدق والامانة والوفاء بالعهود والمحافظة على الشرف والرحمة بالضعيف والاقدام على نصيحة الاقوياء والاعتراف بالحقوق وسمو النظر الي الرغائب السامية

هذا ما نراه من العلاج ومن الناس من يتكلم بغير هدًي ولا عقل منير فيسمعك كلاماً غير معقول

ينصحك بالالتجاء لدول اوروبا والاعتماد عليها فى الزام الدولة بالاصلاح على الوجه الذي يرونه أو تراه تلك الدول وغاية هذا الرأى تسليم البلاد لهم ومنهم من يرى ان لا اصلاح الا بتقليد أوروبا فى جميع الشؤون شبرا بشبر وذراعا بذراع وهو على اطلاقه اضلال أي اضلال . ومنهم من اكتفى بالاسف والتحسر وقال ان اصلاح الحال لا يكون الا من جهة الحكام واذا كان صلاح الحكام ميؤسا منه فالاصلاح كذلك

وذهب بعض المثرثرين فى هذا الموضوع الي أن الاصلاح يتوقف على نهوض الامة والزامها الحكومة بما تريد منها بثورة كثروة الفرنسيس مثلا وقد جرب هذا فى البلاد التى ارادت أوروبا ابتلاعها مثل مصر ولا يزال المسلمون يتململون من سموم لدغاتها ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين

اللهم انا نسألك أن تبعث هذه الهمم بعد الموت. وترد التائه الى الصراط المستقيم بعد الفوت. حتى يرجع الى حسن المعتقد بعدما استدبر المقصد

اللهم ايقظ المستغرق منا فى منامه. المبتهج بلطيف أحلامه . حتي يعلم بان اليقظة خير من الرقاد. والالتئام والاتحاد أجمع لحصال الرشاد من التفرقة والعناد

اللهم ارفع وقر آذاننا ونبه خدر اعصابنا وتفضل علينا بصيحة على لسان

عبد من عبادك نسمعها فتقرع قلوب الآحاد المتفرقة من أمة عظيمة تباعدت انحاؤها بالفساد وتناءت اطرافها بالشقاق تباينت عاداتها وطبائعها بالشحناء فتخشع من هيبة صوته فتجتمع اجتماع الفازع ثم تسكن وتتناجى فى أمرها

اللهم نبأة تجمع الاهولاء المتفرقة وتوحد الاراء المتخالفة حتى ترى الحق حقا فتتبعه والباطل باطل فتتجنبه . اللهم قلب قلوبنا التى بين اصبعيك لينتفض عنها غبار الجهل المتراكم ويزول غين الخبل الذى ران عليها فتفيق من غفلتها وتستنير بنبراس الحكمة . اللهم بكاء ونواح . وعويل وصياح . واستياء واتفاق على الداء والدواء واشتراك فى الاعمال كاشتراك فى الاقوال واتحاد فى الفكر للاتحاد على النتيجة التى هى اجتماع الكلمة والاتفاق على الالتفات حول لواء الخلافة ومناجاة المشرق والمغرب لاعلاء كلمة الدين ودفع الضرر عن المسلمين والعمل فى طاعة رب العالمين آمين

